بعد أن إنقشع الغبار

د. طارق عبدالحليم

بعد أن انقشع الغبار ..

خارطة طريق للمسلمين

أردت بها أولاً وجه الله سبحانه

وثانياً بيان الحق

وثالثاً وضع بعض علامات على طريق التمكين

وقد أصبنا بأذي بسبب ما كتبنا، لكنه أذى قليلاً غاية في القِلة في جنب الله.

فلعل الله أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه

د طارق عبد الحليم

كندا، 3 محرم 1435

06 نوفمبر 2013

الجزء الأول

أستأذن القارئ الكريم في أن أتحول بمقالاتي إلى وجهة أخرى غير التي أمَمْتها منذ حركة 25 يناير 2011، ثم خلال تولى الإخوان الحكم، صورياً، ثم عَبْرَ الأحداث الأخيرة التي أودت بالإخوان، وبالحركة الإسلامية عامة، في مصر.

وهذه الوجهة ليست غير الإسلام بالطبع، لكنها تستشرف القادم، وتدع الحاضر من ورائها، إذ أصبح هذا الحاضر غُباراً من آثار ما حدث، لا نظن أن سيكون له أثر على تغيير مسار الوجهة التي تتوجه اليها مصر في هذا العصر. فهي وجهة من منظور يَعرِف واقع الحال، دون غبشٍ أو ضبابية أو خداعٍ للنفس، ويعترف بهذا الواقع، ليقوم في تحركاته المستقبلية على أسس حقيقة، لا أوهام وأمانيّ، تتبخّر بمرور الأيام، فلا يُمسك صاحبها منها إلا ما يُمسك الغربال من الماء.

(1)

إنّ من الخطأ المَعيب، خاصة من المُفكر والمُنَظّر، الذي ينبغي أن يرسم طريق العمل ويوضح بنياته، بما يضمن صحة الخطة وسلامة الخطوة، أن ينشغل، أطول مما ينبغي، بالجزئيات عن كلياتها، وبالأحداث عن إطارها.

وتفصيل هذه الجملة، أنّ الأحداث تترى من حولنا، القبض على فلان، وضرب فلان، وخروج مظاهرة هنا وإعتصام هناك، كلها أحداث جزئية تعمل في إطار عامٍ يسير بها، وبنا، في طريقٍ مرسوم المعالم، لا يتغير إلا بإرادة إلهية، وقوة تغيير إنسانية قوية هائلة صحيحة التوجه، تَحْرِفُ هذا التيار الجارف في طريقٍ آخر، ووجهة مخالفة.

وقد تخالف أحد الجزئيات كلياتها، أو يظهر الحدث أنه مضادٌ لإطاره العام، لكن هذه هي مهمة المُفكر المُنَظِّر، أن يَرُدّ تلك الشوارد إلى قواعدها، وينسقُ تلك الحوادث وإن بدت نابية عن إطارها.

قدمت هذه التقدمة، لأمهد للقول بأنّ الأمر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، قد استقر للباطل في هذه الجولة على أرض مصر. وما كل تلك الحوادث الجزئية، من سلاسل بشرية أو مظاهرات أسبوعية، إلا الزبدُ الذي يُخلّفه المُوجُ العاتي حين انحساره. وإن لم يكسب الباطل الحرب بيقين، إنما هي جولة وإن طال أمدها، فإن الباطلَ زهوقٌ لا محالة، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

نقول هذا القول، والقلب يتمزق ألماً ولوعة على جولةٍ أضعناها، أو أضاعها حكم الإخوان، ولم يستحق الشعب، بعامة، الفوز بها، بلا شك "وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون".

من العبث اليوم، والذهول عن الحقيقة، أن يُقال أنّ هذه الجولة لم تُحسم لصالح الباطل، لمجرد التفاؤل وإراحة النفس والضمير. هذا هو الأمر الواقع، رغم ما تبقى من محاولات تتحرك على استحياء هنا وهناك. والواجبُ يحتمُ أن نتجاوز هذه المرحلة على عجل، لنرى ما نحن فاعلون فيما يأتي من بعدها.

وقد حُسم هذا التصور في نفسي بُعَيد انقلاب الكفر في 30 يونيو، فكتبت مقالاً، يتوارى فيه هذا المعنى، تحت عنوان "معالمٌ استراتيجية على طريق الدعوة ومسار الحركة" بتاريخ 11 يوليو 2013، قلت فيه" فإنه يجب أن تتحدد معالم الدعوة واستراتيجياتها في مواجهة الواقع الذي كنا نستشعر قدومه، بعد أن أصبح حاضراً، وحقيقة لا توقعاً"[1].

فشل المسلمون من قبل حين تفتّت وحدتهم وقامت الجامعة العربية على رفات وحدتهم. وكان فشلهم الأكبر في إعلان الكيان الصهيونيّ في قلب بلادهم، ولم تستطع جيوشهم مجتمعة أن تحرز نصراً ضده. ثم فشلوا في مواجهة الباطل في الجزائر وليبيا واليمن، ثم اليوم في مصر، وهم يعانون في سوريا والعراق.

ولسنا بصدد درس في التاريخ، فإن السرد التاريخيّ تعج به الكتب والمواقع، لكننا نقصد إلى رسم الإطار العام الذي يجب أن ننظر من خلاله إلى خارطة الطريق ونعبر من خلال سياقته إلى استشراف المستقبل.

الذي يجب أن يكون محلّ نظرٍ وبحث اليوم هو إجابة السؤال الذي يلحّ على ذهن المُفكر والمُنَظّر، وهو لماذا لم ينجح المسلمون في شرقنا العربيّ، في كلّ مواجهة وقعت بينهم وبين الباطل منذ سقوط الخلافة؟

والجواب على هذا السؤال فيه، بعون الله، معالم الطريق في المراحل القادمة، وفي المواجهات المرتقبة.

(2)

وما نحسب هذا الفشل إلا بسبب انحراف المنهج التربويّ العقديّ الذي أدّى إلى الخراب العقديّ، وإنحراف التصور الإسلاميّ المتفشي بين زرارى المسلمين في بلادنا، في مقابل قوة التأثير العلماني وشراسة الهجمة الثقافية الإلحادية التي تغلغلت في أوساط الشعوب "الإسلامية"، فنخرتها حتى النخاع.

وهذا الحديث ليس بحديث نظريّ أو أكاديميّ، بل هو في صميم الواقع العمليّ الذي تعيشه الدول "الإسلامية" اليوم، وخاصة تلك التي مرت بما أسموه "الربيع العربيّ".

لقد جاءت الضربة الكبرى للحاضر الإسلاميّ، بعد سقوط الخلافة والتقسيم بموجب سايكس بيكو، بحكامٍ خونة ملاحدة، كانوا نتاج زرع محمد علي في مصر، ثم من تبعه على نهجه في بقية البلاد "الإسلامية" حتى سقطت الخلافة على يد أتاتورك، وخيانة الشريف حسين وأبنائه، وعمالة ملوك آل سعود، وفساد الملك فؤاد وابنه فاروق، وتبعية أمراء دويلات الخليج للإنجليز، وفسق ملوك المغرب العربيّ. ثم جاءت طامة الكيان الصهيونيّ، وجاء عبد الناصر فأورد العالم العربي كله موارد التهلكة. ثم كان ما كان من محاولات "إسلامية" في الجزائر ومصر واليمن وغيرهم، على يد جماعات تراوح انحرافها بين اليمين الإرجائي واليسار الخارجيّ.

[1] http://tariqabdelhaleem.com/new/Artical-68438

كلّ هذه الأنظمة الكافرة، التي تربى ساداتها وكبراؤها في أحضان العلمانية الماسونية الغربية، قد استقبلت المناهج العلمانية وتصوراتها في بلادنا، ومهدت لها سبل الإنتشار، كما حدث في مصر ولبنان وغيرها، وظهرت كليات الفرنسسكان والجامعة الأمريكية، وساهم الإستعمار العسكريّ على ذلك حتى جاء الوقت الذي لم يعد فيه للإستعمار العسكريّ لزوم، وعادت تلك الحكام، والنظم الثقافية بل والجيوش المدجنة تقوم مقام جنود الإحتلال لحساب تلك العلمانية الملحدة. وهل هناك أدلّ على صحة ما نقول مما يفعله جيش الخسيس السيسيّ اليوم من قتل وإبادة للمسلمين، وتدمير لمعالم الإسلام، وحصار لغزة لحساب الجيش الصهيونيّ؟

تزاحمت على عقول زرارى المسلمين في بلادنا تلك الغواشى كلها، فصارت أجيالهم، جيلاً جيل، تنشأ في ظلماتٍ شرعية لا تمت للإسلام وتصوراته ومفاهيمه إلا ببقايا شكلية وقشور خارجية. لا تمنع عنهم عدوانا فكرياً أو اغتصاباً ثقافياً.

وما نَصِفُ هنا هو عين ما تحققت نتاجه وترعرع نبته فيما رأينا من تتالي الأحداثٍ في دول الربيع العربيّ عامة، وفي الشهرين الماضيين في مصر خاصة وبأبشع صور التجسد.

يتبع أن شاء الله ..

الجزء الثاني

وقفنا في حلقتنا الأولى إلى أن قد "تزاحمت على عقول زَرارى المسلمين في بلادنا تلك الغواشى كلها، فصارت أجيالهم، جيلاً بعد جيل، تنشأ في ظلماتٍ شرعية لا تمت للإسلام وتصوراته ومفاهيمه إلا ببقايا شكلية وقشور خارجية. لا تمنع عنهم عدوانا فكرياً أو اغتصاباً ثقافياً".

ثلاثة أمور يجب أن نفصّل فيها القول، بعض التفصيل، لنصل إلى غرضنا من هذا المقال، وهو رسم خارطة عمل للحركة الإسلامية في المستقبل القريب والبعيد.

أول هذه الأمور، هو وصف المرير والحاضر الأسيف، والثاني هو تحديد عوامل الفشل في المرحلة السابقة، والثالث هو أن نضع خطة للعمل، تتفاعل مع الواقع، وتعلو على الجزئيات والأحداث، إلا بما يقوّيها ويعدّل من مسارها، بعد تحديد الهدف ومعرفة وسائل تحقيقه.

(3)

يمكن توصيف الواقع الحال والحاضر الأسيف، في النقاط التالية:

يحكم الجيش البلاد، بمعاونة الشرطة والإعلام والقضاء الفاسد، ويتحكم بشكلٍ كاملٍ في الإقتصاد والسياسة وكافة مرافق الحياة.

هذا الحكم يتم بقوة السلاح المُجرد والقوة الشرسة المجرمة، التي لا تقف عند حدٍ في القتل والسحل والتعذيب والإعتقال، وتتجاوز، بانحطاطها، كافة الشرائع والقوانين والأعراف الخلقية، بما فيها أعراف بني صهيون، وما وقعة رابعة والنهضة ببعيد.

تقوم هذه السلطة الغاشمة بالسير قدماً في طريقها غير آبهة لمظاهرات أو اعتصامات أو سلاسل بشرية أو معارضات قانونية، بل تتعامل كأنّ الشعب كله قد رضى بها وأقرّها، ومن يتفوه بغير ذلك فمصيره القتل أو الإعتقال.

وتعاون هذا القوة العسكرية البوليسية الغاشمة حكومة صورية ورئيسٌ، لزوم الديكور، يعيثان في الأرض الفساد والاضطراب، ويهدمان ما تبقى من اقتصاد ويسيران بمصر إلى الإفلاس قُدُماً. وتستخدم هذه الحكومة الباطلة قضاء الرشوة والخزي، وإعلام الكفر والإلحاد لتسويق أكاذيبها وإسباغ الشرعية على قراراتها.

تعتمد هذه السلطة على تلك القاعدة الشعبية المؤيدة لها، إما نفاقاً كأعضاء الأحزاب السياسية الكرتونية كالوفد وغيره، وعلى رأس هؤلاء المنافقين أمثال الصباحي والبدوي وسائر كفار مصر، وإما جهلاً واتّباعاً أعمى للباطل، وهم غالبية تلك القاعدة وأساسها، ممن خالَ عليهم سحر الإعلام الملحد، لضعف عقولهم ابتداءً. وإما سكوتاً واستسلاماً ورضوخاً بالواقع، على مذهب "يعنى نعمل ايه؟ هو ماشى كده " وهؤلاء مثلهم مثل التابعين الراضين الموافقين. ثم تلك الكتلتين اللابشريتين من الصليبيين، ومن عناصر القوات الشرطية والعسكرية وأهليهم وذويهم.

وفي مواجهة هذه القوى الغاشمة اللعينة، التي لا خلق لها ولا ضمير ولا ذمة، تقف جموع شعبية محبة، ، لدين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، في غالبها، بفطرة الإسلام. تقف هذه الكتلة، الي أغلبها من النساء، دون سلاح تواجه به مهاجميها، وبلا إرادة في التصدي لهؤلاء المهاجمين ابتداءً، عملاً بمبدأ "سلميتنا أوقى من رصاصهم"!

تخرج هذه الكتلة البشرية في مظاهرات متفرقة وسلاسل بشرية، بشكل يوميّ، وبحشد هائل بشكل أسبوعي، دون اعتصام، بعدما حدث في في رابعة والنهضة مما لا نحتاج لتكرار تفاصيله.

هذه، باختصار، ولتلافي التكرار، صورة الواقع المرير والحاضر الأسيف.

لم تصل الأمور إلى ما هي عليه هكذا في عشية أو ضحاها. بل هي نتيجة عوامل عدة، تعاونت وتكاتفت لتصل بنا إلى هذا الواقع الحال والحاضر الأسيف.

من تلك العوامل التي أودت إلى فشل الجولات المتعاقبة في مواجهة الباطل ما هو من صنع "الإسلاميين" أنفسهم، ومنها ما هو من مكر أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، كما سنبين فيما يأتي من قول إن شاء الله.

الجزء الثالث

قلنا فيما سبق أن "من تلك العوامل التي أودت إلى فشل الجولات المتعاقبة في مواجهة الباطل ما هو صُنيع "الإسلاميين" أنفسهم، ومنها ما هو مكر أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم". وتفصيل هذه الجملة فيما يلي.

(4)

أما عن مكر أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم:

فإن الهجمة على العالم العربي المسلم ليست وليدة العقود السابقة، بل بدأت منذ تدهور الدولة العثمانية، الذي أدى إلى الحملة الفرنسية، وما تبعها من تسرب العلمانية إلى التعليم والقانون وإنشاء المحاكم المختلطة، بل حتى المشايخ لم يسلموا من آثارها كرفاعة الطهطاوى وخير الدين التونسيّ. ثم أعقب ذلك زلزال الحرب العالمية الأولى ثم سقوط الخلافة، وأعقبها تحقيق معاهدة ساسكس بيكو على الأرض.

ولم يكن أثر الإستعمار العسكريّ هو الحاسم في عملية التحول العلمانيّ، لكن كان الغزو الثقافي هو الذي حسم أمر التوجه العلمانيّ في أنحاء العالم الإسلاميّ، خاصة في مصر ولبنان، حيث فازت مصر بنصيب الأسد من تلك الهجمة الثقافية.

ظهر الغزو العلمانيّ لمصر على مسرح الحياة السياسية متمثلاً في الأحزاب العلمانية كالوفد، وعلى رأسه سعد زغلول العلماني المَحض، وظهرت الأحكام الوضعية في ساحات القضاء ومراجع القانون، وعلى المسرح الإقتصاديّ متمثلاً في إنشاء

بنك مصر وعلى رأسه طلعت حرب، وفي المسرح الثقافي والتعليمي الذي قاد كِبْرَه الملحد طه حسين ومن قبله أحمد لطفي السيد. بل غزا الأثر العلمانيّ المؤسسات الدينية بتأثير الشخصيات الماسونية كجمال الدين الفارسي (المعروف بالأفغانيّ)، وتلميذه محمد عبده، الذي كان رأس المحفل الماسوني الشرقيّ[2].

ولسنا نحكي هذا التاريخ من باب السرد، فكتب التاريخ متاحة لمن شاء، لكن لبيان أنّ هذا التوجّه قد انعكس على العقلية المسلمة، بفعل التعليم، الذي تحوّل في الأوساط الراقية، والتي يتخرج منها طبقة الحكام عامة، إلى تعليماً أجنبياً في الليسيه والكليات الفرنسية والإنجليزية، وبتأثير "الفن" الذي نشأ في مصر في العشرينيات، وظهرت "نجومه" على شاشات الخيّالة، وفي كباريهات شارع محمد على أولاً ثم شارع الهرم لاحقاً.

تسرب الفكر العلمانيّ إذن، بشكلٍ واسعٍ، بين أبناء الشعب، على غفلة من أبنائه. وكان الجانب الآخر في هذه المعادلة هو غبش الفكرة الإسلامية واختلاط التصور الإسلاميّ في العقول، مما ترك الدين في قلوب الناس وسحبه من عقولهم. فتغلبت الأفكار الصوفية وكانت محضناً ملائماً للفكرالعلمانيّ الذي يفصل بين الدين والدنيا، كما هو في المذهب الصوفي الكفريّ[3].

لكن هذه الهجمة لم يُمَكَّن لها دون مقاومة البتة. فقد ظهرت شخصيات عامة، سياسية وأدبية تقاوم، بشكلٍ أو بآخر، هذه الإتجاه الثقافيّ المدمّر، حيث اختلطت وقتها الفكرة العربية بالفكرة الإسلامية[4]. إذ من طبائع الصراع الثقافي أن ينشأ في خِضَمّه اتجاهان، يتصارعان بين القديم والجديد، وبين موروث الماضى ومعطيات الحاضر. وقد كان، في حالتنا هذه، الجديد هو العلمانية المقيتة التي حاول تزيينها أصحابُها، فقط لأنها جديد في مقابل قديم موروث، هو الإسلام!

ونحن هنا نرصد جيلين متعاقبين، أحدهما ممن ولد بين عشرينيات القرن الماضى، وحتى اندلاع الحرب العالمية الثانية، والآخر ممن وُلد بعد الحرب إلى السبعينيات من ذاك القرن. وكلا الجيلين قد انقسم بين هذين الإتجاهين، بدرجات مختلفة وظلال متباينة.

كان الجيل الأول هو الأكثر تأثّراً بالتغيير الثقافيّ الذي تسرّب على غفلة، فإذا بغالبية أبنائه من "الوطنيين" ينتمون لحزب الوفد العلمانيّ دون وعيٍ أو تمييز لعلمانيته تلك. وكان هذا الإنتماء مفخرة لكثير من شباب ذلك الجيل المنكوب ثقافيا وعقدياً. ثم كان القسم الآخر، الذي مثّل المُضاد "الإسلاميّ" والذي تَمَثَّل، كما ذكرنا، في شخصيات عامة، كما تمثّل في حركة إسلامية وليدة آنذاك هي حركة "الإخوان المسلمون".

وقد وُلِدت هذه الحركة في ظروف تاريخية فريدة، بين سقوط الخلافة والإستعمار العسكريّ والهجمة الثقافية الشرسة، مما شكّل فكرها بطريقة معينة، ورَمَتْ بخَلَفِها خاصة في يد الإرجاءالعقدي[5] كما سنبين بعد. ونلمح في هذا القسم من الجيل غياب شبه تام لمفهوم التوحيد الخالص، في الحياة اليومية في كافة مناحي الحياة.

ثم كان الجيل التاليّ، والذي انقسم إلى كتلة سارت على خطى القسم الأول من الجيل السابق لها، فتشبّعت بالفكرة العلمانية، دون وعيّ منها، ورسخت فيها مبادئ تضاد التصور الإسلامي، وكان وجودها امتداد طبيعي للجيل السابق وموروثه النكد. وهم اليوم من يؤيدون السيسيّ ويرضون بحكمه، نفاقاً أو استسلاماً أو سكوتا وإعراضاً، وهم الذراع الحقيقي الذي تستند عليه القوة العسكرية الغاشمة. وكتلة استشعرت الخطر الماحق، دون أن ترى تفاصيله، فبقت على حب الله رسوله، وعرفت بفطرتها خُبث ما يراد بها، وهم أولئك الذين ملؤا رابعة والنهضة وقدموا شهداءهم فرحين مغتبطين.

---

[2] راجع في تفاصيل هذا الأمر رائعة الدكتور محمد محمد حسين "الإسلام والحضارة الغربية"

[3] وقد كان أبي، رحمه الله وغفر له، يصطحبني، في الخمسينيات من القرن الماضي، لحضور جلسات صوفي شاذلي عتيق اسه أحمد كامل الملطاوى، وكان وكيلاً لوزارة المالية، ويا لله من الخزعبلات التي كنا نسمعها في تلك الجلسات، مما عافتها نفسي منذ الصغر.

[4] راجع تفصيل ذلك في كتاب "الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر" محمد محمد حسين، خاصة الجزء الثاني منه.

[5] راجع مقالنا التفصيلي في هذا الصدد بعنوان "الإخوان المسلمون في نصف قرن"، http://tariqabdelhaleem.com/new/Artical-121

إذن تمخّض هذا الجيل عن قسمٍ تمرد على تلك الثوابت المُنحرفة، منه تلك الكتلة التي ذكرنا من العوام، ومنه امتداد ما سبق من حركات، فكان أن واصلت حركة الإخوان طريقها، فواجهت الطغيان الديكتاتوريّ المُتمثل في الهالك عبد الناصر لعنه الله، لكن بمفهومٍ وتصورٍ لم يناسب الواقع، كما سنبيّن، كما ظهر جمعٌ أدرك غياب التصور التوحيدي عن ذهن الأمة وعقلها وروحها، علماً وعملاً، فاتخذ منحى إيضاح هذا التصور بجلاء وصفاء، وكان على رأس هؤلاء الأستاذ سيد قطب، شهيد ذاك الجيل، الذي ما تحرك في هذا الإتجاه إلا عقيب الحرب العالمية الثانية، رغم انتمائه للجيل الأول الذي ذكرنا. كما ظهرت، كردود فعلٍ للتصورات الإخوانية، تيارات ألقت بها السذاجة السياسية في اتجاه الجهاد دون رَوِيَّة أو دراسة أو استعداد، مثل الجماعة الإسلامية على وجه التحديد.

من هذا الجيل الثاني، تكونت القيادات الحالية للمُرَكّبْ الإسلاميّ في أيام الناس هذه، بدءأ بمحمد بديع وخيرت الشاطر ومحمد البلتاجي وحازم أبو اسماعيل، إلى الشيخ رفاعي سرور رحمه الله والشيخ عبد المجيد الشاذلي شفاه الله، ومن زاملهما.

هذا ما أدى بنا إلى الموقف الحالي الذي تصطفّ فيه قوتان، قوة عسكرية هائلة بلا ضمير، ومعها شعبٌ كفر بالله وبرسوله، وخرج من أحضان أمته، ووقع في حجر العلمانية الشيطانية. وهؤلاء يقفون بالمرصاد لكل من تُسَوّل له نفسه الخروج على مسارهم الكفريّ. وشعبٌ أعزلٌ مُسالمٌ، يحب الله ورسوله، لكن لا يعرف جهاداً ولا يقدر عليه، يخرج في تظاهراتٍ "سلمية" وسلاسل بشرية تتخوّف[6] أعدادها كلّ يوم.

نعم، ما حدث في رابعة والنهضة كان عملاً اسطورياً غير مسبوق في التاريخ الحديث، يبين بوضوح مدى محبة الأمة المسلمة لدينها واستعدادها للتضحية. لكن هذه الروح وهذا الإخلاص يحتاجان إلى أدواتٍ تنقلهما من عالم الضمير والمشاعر الى واقع محسوسٍ على الأرض، يكافح ويغالب، يَقْتُل ويُقْتَل. فالحق أن السلمية ليست أقوى من الرصاص. بل الرصاص أقوى وأشد أثراً. إنما الغلبة لمن يطلقه.

إنّ الواقع الحاليّ لن يفرز نصراً إلا في حالة واحدة، أنْ ترى عناصر من الشعب أن الكفاح المسلح هو الطريق لمقاومة الإحتلال العسكريّ، فتتحرك في هذا الإتجاه بالتوازي مع المظاهرات السّلمية والسلاسل البشرية. ثم أن يستمر الضغط الشعبيّ مع العصيان المدني الكامل من قِبَل الشعب المؤمن. وهو أمرٌ لا أرى أنّ الفرصة متاحة له اليوم. ولابد هنا أن ندرك أنّ القوى العسكرية الغاشمة لن تتنازل ولو انهار الإقتصاد كلية. بل على العكس، فإن العسكر وأمراء الحرب تقوى قبضتهم في ظل الأزمات الإقتصادية الطاحنة، كما نرى في دول إفريقيا وأمريكا الجنوبية.

أما عن صنيع الإسلاميين أنفسهم وحصاد فكرهم المرّ، وما جنته أيديهم في الوصول بواقعنا إلى ما هو عليه، فهو موضوع الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى.

الجزء الرابع

(5)

أما عن صنيع الإسلاميين أنفسهم وحصاد فكرهم المُرّ، وما جنته أيديهم في الوصول بواقعنا إلى ما هو عليه، فهو حديثٌ ذو شجون.

ذكرنا أنّ الهجمة الثقافية العلمانية الملحدة أنبتت ردة فعلٍ إسلامية تمثلت في شخصياتٍ عامة تدافع عن الإسلام، وفي ظهور جماعة الإخوان المسلمون. لكنّ الظروف العامة التي تكونت فيها الجماعة، وهي باختصارٍ قُربها عهداً بسقوط الخلافة ووجود دعوات قوية لإعادتها، ووجود الإستعمار البريطاني والملكية ودورهما، ثم بعض الإنتماءات الفكرية لمؤسسها حسن البنا رحمه

[6] أي تتناقص

ﷲ، خاصة في الإطار الصوفيّ، كل هذا أدى إلى أن خرجت جماعة الإخوان في عَهدها تمثل اتجاهاً لا يُنَاهِض، بل يُصَالح، وبتعبير آخر خرجت في صورة جماعة إصلاح لا جماعة تبديل أوتغيير[7].

ثم، دفعت الظروف المتبدّلة هذه الجماعة إلى تكوين جناحٍ عسكريّ وتنظيم سري بعد أن ألجأها الواقع إلى ذلك الإجراء، وقامت بجهادٍ مشرّفٍ في حرب فلسطين في 48، حتى أنهي الهالك جمال عبد الناصر دورها وأعدم عدداً من رموزها واعتقل عشرات الآلاف من أعضائها.

تم تنظير الرؤية الفقهية للجماعة، تحت تأثير الواقع السياسيّ، في الستينيات، بخروج دستورها "دعاة لا قضاة". وكان السمت الأساسيّ لهذه التنظير هو امتدادا للوجهة الإصلاحية في البعد سياسياً، وإرجائياً صوفياً في البعد العقديّ. انتقلت قيادة الإخوان بعد هذه الفترة إلى الجيل الثاني الذي أشرنا اليه، وأخذ الراية جيل العريان والكتاتنيّ وعبد المنعم عبد الفتاح، وتمثلت في توجهاتهم كلّ أوليّات هذين التوجّهين السياسيّ الإصلاحي والعقدي الإرجائي الصوفي. وقد فصلنا القول في هذا الأمر في العديد من كتبنا ككتاب حقيقة الإيمان" الذي أصدرناه عام 1978 كرد شرعي تأصيلي على كتاب "دعاة لا قضاة"، وفي مقالاتنا، فلا داع للإعادة.

كان من نتيجة ذلك التوجّه أن سارت التربية الإخوانية تقوم على مبادئ عامة، وإن كانت غير مدونة:

- نبذ فكرة الجهاد المسلح بالكامل، واقصائها حتى من أدبيات وفكر هذه الجماعة.
- التعامل مع الحكم بغير ما أنزل الله كأنه معصية، ومن ثم الرضا به كواقعٍ نعمل على "إصلاحه" لا "تبديله".
- التعامل مع الكفار من الحكام على أنهم مسلمون عاصون باغون، فحادوا عن مفهوم التوحيد وضرورات التصور الإسلاميّ، الذي ينص في مسلماته على كفر الحاكم بغير ما أنزل الله تشريعاً وتقنيناً، واختلط عليهم الحاكم العاصي الذي يحكم تحت مظلة الشريعة وإن مارس الظلم والعدى على الحدود، وبين الحاكم الذي يُشرّع من دون الله تحت ميادات مسمى الديموقراطية أو الحداثة أو ما شئت من تلك الأسماء.

أنتج هذا التوجه العقدي السياسيّ جيلاً مشوهاً من الشباب، يتبع قيادات مشتتة الرؤية، منحرفة العقيدة. لكنّ الأخطر، ما استثمرته الأنظمة الكفرية التي تعاقبت على الإخوان، أو تعاقب عليها الإخوان، هما مفهوميّ "التكفير" و"الجهاد".

أما "التكفير" فقد عاملته الإخوان وكأنه أمرٌ انتهى منذ فتح مكة، فلم ولن يكفر أحداً بقولٍ أو عملٍ ما دامت السموات والأرض**!** وقرنوا، بمباركة الأنظمة الكافرة العسكرية، التكفير بالخوارج. وهو انحراف عقديّ وخلل فقهيّ خطير. فالحكم بالكفر على فاعل الكفر إنما هو حكم فقهيّ شرعيّ باقٍ ما بقيت السموات والأرض، له شروطه وموانعه المعروفة في أبواب الردة في كافة كتب المذاهب.

أمّا "الجهاد"، فقد تبرأ منه الإخوان، سيراً على هوى النظم الكفرية، ومتابعة لهجمة الغرب، الذي قَرَنَ الجهاد بالإرهاب. فخلت تربية الإخوان من أي إشارة للجهاد، بل ورفعوه حتى من شعاراتهم التي تبنوها عقوداً عدة.

وكان من جراء هذا الإنحراف في فهم وتقييم وتطبيق هذين المفهومين، ما رأيناه في أعقاب حركة 25 يناير 2011 من قيام وسقوط حكم الإخوان. فهم يتحملون، من جوّاء هذا الإنحراف، مسؤولية الدماء التي أريقت والعلمانية التي سيطرت، شراكة مع العسكرية السيسية الملحدة.

ولا تزال قيادات الإخوان، حتى يومنا هذا، يصرّون على هذا النهج العقديّ المنحرف، وعلى نبذ فكرة الجهاد بالكلية، وعلى أنّ السيسي وجيشه وشعبه "إخواننا بغوا علينا**!**"، وهو ما يجعلهم عالة على عملية التغيير في مصر والعالم العربيّ، من حيث لا

---

[7] راجع بالتفصيل في هذا الموضوع مقالنا بعنوان "الإخوان المسلمون في نصف قرن" http://tariqabdelhaleem.com/new/Artical-121

يصلحون قيادة الأمة، لا سياسياً ولا عقدياً، وإن استطاعوا اكتساب تأييد العوام لضحالة فكر العاميّ ابتداءً. وقد رأينا ما آل اليه هذا التوجه الإخوانيّ على الأرض فلا معنى للإطالة.

(6)

ثمّ إن ذلك التوجّه الإخوانيّ، عقب محاكمات 65، وإعدام سيد قطب ومحمد يوسف هواش وعبد الفتاح اسماعيل رحمهم الله، في قضية تنظيم 65، والتي تولي رئاسة محكمتها العسكرية اللواء الدجوي أحد أخسّ الشخصيات العسكرية في التاريخ المصريّ، ظهرت ردة فعل لذلك الإنحراف العقديّ السياسيّ، خاصة في مفهوميّ "التكفير" والجهاد".

وإن من طبيعة ردود الأفعال عدم الإتزان والبعد عن الوسطية، وهو ما أطلقتُ عليه "نظرية البندول". فظهرت جماعة "التكفير والهجرة"، كرِدّة فعل على الخلل في مفهوم "التكفير" كما ظهرت جماعتي "الجهاد" و"الجماعة الإسلامية" كرد فعلٍ على الإنحراف في مفهوم الجهاد لدى الإخوان.

وقد انتهى أثر جماعة التكفير والهجرة سريعاً بعد إعدام زعيمها مصطفى شكري في السبعينيات.

أمّا جماعتيّ الجهاد والجماعة الإسلامية فقد نفّذوا بعض العمليات الصغيرة التي لم تُسْفِر عن أية نتيجة على الأرض، إلا عملية قتل السادات، التي نفّذها أربعة من تنظيم الجماعة الإسلامية. وقد أعدم بعدها المُنفذون ومعهم محمد عبد السلام فرج صاحب كتاب "الفريضة الغائبة" ومنظّر جماعة الجهاد.

وقد كان من نتيجة "نظرية البندول" أن تراجَعَ أعضاء الجماعة عن اتجاههم، لكن بانحراف جديد عن الخطّ السنيّ الوسطيّ الصحيح. وكانت مهزلة التراجعات التي دونها سيد إمام، والتي أطلق عليها "المراجعات" أو "وثيقة ترشيد الجهاد"، ثم وَضُحَ الخَلل عملياً حين تبنّت الجماعة العملية السياسية والإنخراط في لعبة الديموقرطية والبَرلمانية العوجاء، ونبذت الفكر الجهاديّ تماماً وتبرأت منه. وظهرت بشاعات الإنحراف الجديد في أقوال وتصرّفات العديد من قادة هؤلاء ككرم زهدي والساقط ناجح إبراهيم، وعبود الزمر وعاصم عبد الماجد وعدد من قادتهم ممن أصبح مارساً للعلمانية السياسية وتعدى في انحرافه النهج الإخواني.

أمّا عن السلفيين المنزليين، فهم بقية المدرسة المَدخلية الإرجائية البدعية، وعبيد آل سعود، وقياداتها، مثل العاهر البُرهامي والخائن المخيون، قد تربّت في أحضان أمن الدولة وبمباركته. وقد كان ظهورهم على مسرح السياسة كارثة على الحركة الإسلامية. وهم اليوم ديكور السيسي في حكومته ولجانه ودستوره الكفريّ.

تلك هي الحركة الإسلامية، باختصارٍ شديدٍ، في ماضيها الذي انعكس على حاضرها وحاضرنا جميعاً.

ثم إنّ تقييم هذا الواقع الحاضر في يومنا هذا وإمكانية الحركة فيه، وإدراك أبعاد الحركة الإسلامية اليوم وإمكاناتها المتاحة، هو سبيل استشراف المستقبل، ورسم الخطى للسالك في طريق الهداية ومدراج النصر. وهو ما سنحاول تناوله في الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى.

الجزء الخامس

خلصنا إلى نقطة هي "أنّ تقييم هذا الواقع الحاضر في يومنا هذا وإمكانية الحركة فيه، وإدراك أبعاد الحركة الإسلامية اليوم وإمكاناتها المتاحة، هو سبيل استشراف المستقبل، ورسم الخطى للسالك في طريق الهداية ومدارج النصر". وهو ما سنحاول التفصيل فيه في هذا المقال.

يتراوح تقييم الواقع اليوم بين شعور الأمل والتفاءل، وشعور اليأس والتشاؤم، على حسب علمِ من تتحدث اليه، وادراكه للتاريخ عامة واستيعابه للأحداث ودلالاتها، وإن كانت سمة عصرنا التكنولوجيّ هذا أنّ كل امرءٍ يدلي بدلوه، ويسميه رأياً، في كلِّ أمرٍ شرعيّ أو واقعيّ، فالفتوى مباحة للجميع، أو على الأصح مُستباحة بالجميع. لكن الأمر ليس أمر تفاؤل أو تشاؤم، بل

هو أمر حسابات دقيقة وتحليلات موثّقة، مرتكزة على قواعد شرعية ووقائع مجردة، إذ الواقع، كما ذكرنا سابقا، غالبا ما يأتي ملوناً بلون صاحبه، قبل أن يعرضه عل أية قوعد عقلية أو شرعية.

(7)

من المهم الحاسم هنا أن نبين بعض المفاهيم الشرعية التي تلقى الضوء على "رؤيتنا للواقع" كما هو اليوم، بناءً على تحليلنا السابق لمعطياته. وهذه المفاهيم تتعلق أساساً بموضعيّ الإنحراف العقديّ عند الإخوان، وهما "التكفير" و"الجهاد".

أحكام الإسلام والردة:

نبدأ بأن نقرر، كما قلنا سابقاً، أن أحكام الإسلام والردة هي أحكامٌ شرعية، تتناولها كتب الفقه عامة، كما تتناول أحكام الوضوء والطهارة والزواج والربا والبيوع وغير ذلك من شرائع الإسلام. وقد درج

ينقسم الناس، في التصور الإسلامي، إلى مسلمٌ أو كافرٌ أصليٌّ أو مرتدٌ.

- والمسلمُ إما سنيّ في مقابل البدعيّ، أو تقيّ في مقابل العاصي.
- والكافر الأصليّ، وهم أهل الكتاب من نصارى ويهود.
- والمرتدُ، وهو كافر كذلك، هو من تحول عن الإسلام وخرج من دين الله بصورة من صور الردة، بالقول أو العمل أو الإقرار. ثم المنافق، وهو خليطٌ بين مرتد أو كافر، يظهر الإسلام ويبطن الكفر، فيلحق بهذا القسم.

ثم الأعمال في التصور الإسلاميّ، أما بالقلب أو اللسان أو الجوارج. وتنقسم إلى أعمال طاعة، أو معصية أو بدعة أو كفر وردة.

- أعمال الطاعة هي ما أوجب الله سبحانه على عباده بدءاً بالإقرار بوحدانيته وألوهيته وتفرده بحق التشريع والحكم في حياة الناس، ثم يترتب علي ذلك إقامة الشعائر من صلاة وزكاة وحجٍ وبيوع وأحكام زواج وطلاق وجهاد وغير ذلك من تصاريف الحياة كلها.
- أعمال المعصية: وهي مخالفة ما نهى الله عنه قصداً وعمداً، ضعفا وشهوة، وهي ما طلب الله الكفّ عنها، تحريما أو كراهة كتناول المسكرات أو القتل أو الزنا، أو الظلم، العزل لقطع النسل.
- أعمال البدعة: وهي تلك الأعمال التي تخالف مقاصد الشرع الحنيف وإن اشتبهت على المبتدع وتشابهت عليه كأنها من الشرع، جهلاً وشبهة.
- أعمال الردة: وهي أساساً كلّ ما يناقض الحكم الأوليّ بالإسلام. وأبواب الكفر كثيرة، أساسها الطعن على الله في ربوبيته، مثل إدعاء الولد والشريك والنظير له سبحانه، أو مشاركته في ألوهيته، وهي بالخروج عن طاعة الله في حكمه والإحتكام إلى غير شرعه، والرضا بالحكم الوضعيّ بديلا له، ثم موالاة الكافرين ونصرتهم ودعمهم والوقوف في صفهم، وإن لم يرتكب المرء الكفر بنفسه، فالموالاة كفر في ذاتها. ثم التوجّه بالشعائر والنسك إلى غيره، تعظيماً للغير ومساواة بينه سبحانه وبين الخلق، كمن دعا ولياً معتقداً أنه يتحكم في مصائر الناس وأرزاقهم، فهذا الداء هو عبادة بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "الدعاء هو العبادة".

والدخول في الإسلام يكون بإقرار الطاعة لله وحده لا شريك له، وعنوان هذا الإقرار شهادة لا إلى إلا الله محمد رسول الله. فشهادة بلا إقرارٌ بالطاعة لا تنفع. والطاعة هنا ليست الطاعة في أعمال المعصية أو أداء الواجبات، بل هي الطاعة في التحليل والتحريم، وهي عين العبادة، كما في حديث عديّ بن حاتم "أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله

فتحلونه ، قال : قلت : بلى ، قال : فتلك عبادتهم" الترمذي حسن ، والطاعة في الحكم بالشرع عامة، واتخاذه قاعدة الحكم في حياة الناس، وعدم الزامهم بتشريعٍ موازٍ من صنع البشر. فمن فعل هذا فقد أخل بما أقر به في القول بالشهادتين، وخرج عن حدّ الطاعة الواجب على من أراد الإنتساب لهذا الدين، وكفر بربِ العالمين.

فإجراء الحكم بالكفر يأتي من إتيان عمل من أعمال الردة، لا أعمال المعصية أو البدعة، إلا أن كانت بدعة مكفرة. وهذا الحكم الشرعيّ وأن كان لا يجب الإفتاء به إلا لمن حاز قدرا كافيا من العلم احترازاً من الولوغ في دماء وأموال المسلمين، فإن من الأمور، في بعض الأزمان، ما يصبح حُكمه شائعاً معروفاً كحكم كفر التتار في أيام بن تيمية.

ودون أن ندخل في تفاصيل موضوع العذر بالجهل في هذا الموضع، فليرجع من شاء إلى كتابنا "الجواب المفيد في حكم جاهل التوحيد"[8]، لكن يجب هنا أن نفرّق بين العلم بالعمل، والعلم بتبعات العمل، أو بين التوصيف والتكييف، في أعمال الكفر بالذات. فإن من قام بعملٍ مُكفرٍ ولم يعرف ما هو لم يكفر، مثل أن يرى كتابا في مكانٍ مظلم فيلقيه على الأرض، ثم يكتشف أنه قرآن، فتوصيف عمل الرجل أنه ألقى القرآن على الأرض وهو عمل كفر، لكن تكييفه الشرعي أن لا يكفر فاعله لأنه لم يعلم أنه قرآناً. أما إن علم الرجل أنه قرآناً فألقاه على الأرض، وقال لا أعلم أن إلقاء المصحف كفراً، فتكييفه الشرعي أنّ فاعله كافرٌ. والفرق بينهما واضح، كمن سبّ الله أو الرسول صلى الله عليه وسلم وقال إنه لم يقصد اهانته.

الأمر إذن لا يتعلق بأنّ "والله يا شيخ دا راجل طيب" أو "والنبي دي ست محجبة" أو "دا راجل بيصلى وأنا باشوفه" وكل هذه التعليقات العامية التي لا محلّ لها في أي تكييف شرعيّ. إنما الأمر أمر طاعة في التشريع، وبراء ممن يكفر ويحارب الشرع.

هذا، بإختصار شديد، هو ما يقوم عليه التصور الإسلامي في مسألة الحكم بالكفر. ومن هنا يمكن أن نفهم قولة ذلك العاهر المرتد علي الحَجّار حيث قرر أن مصر انقسمت إلى شعبين، كلٌ له رب. فإنّ ذلك الجزء من شعب مصر، الذي رضي وتابع ودعم وفوّض الملاحدة العلمانيين في مسخ هوية مصر وهدم الإسلام بها، هم مرتدون عن دين الله، فارتكابهم أعمال الردة الصريحة من موالاة على الكفر. ولا يصح هنا أن يُعتذر بالجهل، فإن العلم بأن هؤلاء العلمانيين يريدون سحق الإسلام أصبح من المعلوم بالضرورة لإنتشاره في كل أخبارهم وتصرفاتهم وتصريحاتهم، من قتل للأبرياء رجالا وأطفالا ونساء، ومطاردة مظاهر الإسلام كالحِجاب واللحية، بما لا يحدث حتى في بلاد الغرب أو في دولة الكيان الصهيوني، وإغلاق مساجد الله ومنع ذكر اسم الله فيها، وحرقها "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ" البقرة 114، والإستهزاء بالدين علنا. ثم يأتي من يتحدث عن جهل هؤلاء التابعين المُرتدين بحقيقة ما يحدث على أرض مصر.

إن من يزعم أن الصفوفَ لم تتمايز اليوم في مصر، وأن معسكريّ الكفر والإسلام لم يتبيّنا، هو أعمي بصر وبصيرة، منافق محضٌ وجاهل جهل كفر ناقل عن الملة، بل اليوم يتلو المسلمون "قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ" الكافرون.

والفائدة في هذا التقرير هو معرفة ما ينبغي قوله أو فعله في مواجهة السلطة الكافرة العسكرية السيسية، وداعميها من أبناء الشعب الآخر الموازى للشعب المسلم.

ثم يبقى أن نتحدث عن مفهوم الجهاد في واقع حالنا اليوم، فإلى الحلقة القادمة إن شاء الله.

---

8 http://tariqabdelhaleem.com/new/Artical-17

الجزء السادس

قبل أنْ ينصرف بنا الحديث إلى مفهوم "الجهاد"، وهو النقطة الثانية التي انحرف فيه الفكر الإخوانيّ، وأدت لظهور حركات خرجت عن النهج السُنيّ الوسطيّ كما ذكرنا، أود أن أؤكد على ما ذكرته من أنّ مناط الحركة الصحيحة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتكييف الشرعي للقوى المغالبة، وهي النقطة التي فشل الإخوان، بل جبنوا، عن أن يتصدوا لها، فكان أن أودوا بنا إلى ما نحن فيه اليوم.

ما أريد أن أبيّنه هنا أنّ الفئة العسكرية السيسية، وداعميها ومفوضيها، ليست فئة باغية كما يروّج جاهلي الإخوان، فالفئة الباغية هي التي تحارب خصومها على السلطة السياسية والإستيلاء على الحكم في إطار الحكم بالشريعة بعد الإستيلاء عليها، لا بالخروج عليها، لكن هذه الفئة العسكرية السيسية وداعميها ومفوضيها يحاربون على السلطة السياسية والإستيلاء على الحكم بهدف إقصاء الشريعة وتدمير الإسلام والخروج على الإطار الإسلاميّ بالكلية. وقد يظهر للمتعجل أنّ الإشتراك بين الشكلين من الصراع على السلطة السياسية والإستلاء على الحكم، يجعل حكمهما واحدا وهو البغي، وهو خطأ لا يقع فيه إلا العوام. فالشكلين من الصراع على السلطة يختلفان كلية من الوجهة الشرعية والعقدية، سبباً ونتيجة.

(8)

أما الحديث عن "الجهاد" فأود أن أشير إلى أنني اتناول هنا الجهاد الذي يندرج تحت حكم "دفع الصائل" في بلادنا العربية والإسلامية، لا الجهاد بمفهومه العام كجهاد الطلب، إذ الحديث عن هذا اللون من الجهاد في أيامنا هذه عبثٌ لا طائل تحته.

وقد يتوهم البعض أنّ الصائل لا يكون إلا غريباً محتلاً. والحق أن الصائل هو كل من صال على الآمنين في ديارهم، فروَّعَهم وسلب مالهم وقتل أنفسهم وخرب ديارهم. وأفحش الصائلين هو من أضاف إلى ذلك منعهم من أداء دينهم وإقامة شرائعهم، سواء كان معتدٍ خارجيّ أو مقيمٌ داخليّ. وهذا التعريف، الذي لا يفرق بين المقيم والغريب، يمكن استنباطه بطريق تنقيح المناط [9]، إذ الوصف الذي جعل الصائل صائلاُ، إن حررنا مناطه كما في أصول الفقه، لم يكن لوصف الإقامة وكونه من أهل الديار أو غريب عنها أثرٌ في علة هذا الحكم.

إذن فنحن نتحدث عن صائلٍ عسكريٍ كافرٍ بضباطه وجنوده، مدعوم بفصيل شعبيّ مرتد.

وهذا الصائل يجب قتاله وقتله، قيادة وضباطاً وجنوداً محاربين، بلا خلاف، وجهاده واجبٌ على القادر بلا خلاف. الأمر اليوم هو التمكن من القتال، وإعداد العدة له أفراداً وعتاداً. فإن أي وسيلة أخرى لن تجدى نفعا.

القوة المشركة هائلة بالنسبة للشعب المسلم "المسالم". وآلة الحرب التي تستوقى بها شديدة البطش. والشخصية العسكرية، سواء في الأمن أو الجيش، شخصية معقدة، جاء غالبها من أحطّ الأوساط الإجتماعية، ثم نُشِّأَت على الإجرام وعدم الضمير والبعد عن الدين، وكراهية الغير عامة. فهي شخصية لا خير فيها ولا مجال للتفاهم معها، فهم جند فرعون بكل ما تحمله الجملة من معنى.

ويسأل سائل "إذن لماذا اعتبرت أنّ جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية كانا على خطئ بيّن فيما فعلوه من قبل"؟ ونقول، الفرق جدُّ كبير. فإن مناط الحالين مختلف إختلافاً بيّنا. إن من اعتبر الجهاد فرض عين على كل مسلم آنذاك إنما اعتبر الحكم الشرعي، أو المناط العام النظريّ. فالقول بأن الجهاد فرض عين على كل مسلمٍ لا ينشأ عنه أن كل مسلم سيقوم بالجهاد بالفعل، بل فرض هذا هو فرضٌ نظريّ لا مراعاة فيه للمناط الحقيقيّ الواقع، وهو أن غالب المكلفين بالجهاد لم يحرجوا له. وقد كان الشعب وقتها غيرَ مؤهلٍ لأن يدعم جهاداً، ولم يخرج منه أحد لدعم العملية الجهادية لأسبابٍ عدة. ولا شك أن الإحجام عن الجهاد في وقت طلبه إثم كبيرٌ، إلا أنّ ذلك كان هو الحال والمناط وقتها في الثمانينيات. وإنما يجب على الفقيه أن يعتبر

---

[9] وتحقيق مناط هو صورة من مسالك العلة بنفي الفارق، انظرإرشاد الفحول للشوكاني ج2 باب مالك العلة، المسلك العاشر.

المناط الخاص أو الفتوى. فحين خرجت جماعة الجهاد أو الجماعة الإسلامية، خرجتا دون دعمٍ ولا استعداد لمواجهة حقيقية، خلاف الحالة في أفغانستان على سبيل المثال. والجهاد كالصلوات الخمس والزكاة والحج، له شروط وموانع، إلا إنه يختلف عنهما في أنه عمل جماعي مثل صلاة الجمعة، إن لم يصل العدد إلى حدٍ معينٍ لم تجب على الفرد.

أمّا اليوم، فإن جمع غفيرٌ من الشعب، وهو ذلك القطاع من الشعب الذي بقي على إسلامه، قد أدرك، بوقائع الإحداث على الأرض، ما لم يكن ممكنا أن يدرك في قرونٍ من التعلم النظريّ، وصار مستعداً لدعم حركات جهادية داخل أرض مصر لإسترداد حقه المغتصب. وإنه لا شك أن الخراب الفكريّ الإخوانيّ لا يزال يعمل عَمله في عقول الناس بحديث "السلمية" ومنهج "سلميتنا أقوى من الرصاص"، وأن طريقنا هو الديموقراطية، إلا أنّ الأحداث ستتجاوز هذا الفكر العفن سريعاً إن شاء الله.

إلا أن هذا لا يعنى استعداد الشعب المسلم اليوم للقتال. فإن كثيرا من هذا الشعب لا يزال لا يعي معنى الخلل الديموقراطيّ، ولا يعي معنى النهج السلميّ كمنهج دعوة، إن صلح كتكتيك قريب المدى، فإنه لا يصلح كمنهجٍ للتغيير.

ومن هنا فإننا نسعى في هذه السلسلة لأن نجد الطريق لتعديل المسار الحاليّ، الذي خَطّه الإخوان، بما شَاب دعوتهم من انحراف في إدراك واقع الإسلام والكفر من ناحية، ودعوة السلمية والتخلى عن جهاد نظام السيسي الكافر العلماني كطريقٍ يُنتهج.

(9)

الواقع المصريّ إذن، إذا اعتبرنا كلّ المعطيات التي تحدثنا عنها، لا ينبؤ بتغيير مرتقبٍ سريعٍ على الأرض. فقوة التظاهرات الحالية تتضاءل يوماً بعد يومٍ، والعنف والبطش العسكريّ السيسي ترتفع وتيرته. ومظاهر الكفر تعلو كلّ يوم في كافة أنحاء البلاد من إغلاق مساجد وطرد أئمة واعتقالات وقتل وتخريب. وما نراه مؤخراً من محاولة لطرد أهل سيناء من أراضيهم لتصبح حزام أمانٍ لإسرائيل بطولها وعرضها، وهو ما يعيد سيناريو الإجلاء الصهيوني للفلسطينيين إلى الأذهان.

إن الدعوة إلى التظاهرات دعوة مشروعة لا غبار عليها، بل إن استمرارها بكثافة ضرورة لعرقلة جهود الكافرين، إلا انها لن توصل لحل الأزمة التي وضعنا فيها الإخوان، بتقاعسهم عن الخروج مرات، قبل استلامهم السلطة، وتواطئهم مع العسكر مرات، وانتهاجهم الديموقراطية التي كفر بها أولياؤها، إذ صنعوا منها إلها من العجوة، ركع له الجميع، بمباركة الإخوان، إلا أنّ من صنعها أكلها حين لم تفي بحاجاته، وظل الإخوان، ومن تابعهم يعبدونها إلى يومنا هذا**!** هذه الديموقراطية التي رفضها مؤسس الإخوان حسن البنا رحمه الله، في رسالته "مشكلاتنا في ظل النظام الإسلامي"[10] في حديثه عن النفاق العالمي وأنهم يتحدثون "...باسم الشيوعية أو الديموقراطية، وليس وراء هاتين اللفظتين إلا المطامح الإستعمارية والمصالح المادية في كل مكان"، ويقول "ولو أخذنا بالحزم وأعلناها صريحة واضحة: أننا معشر أمم الإسلام لا شيوعيون ولا ديمقراطيون ولا شئ من هذا الذي يزعمون، ولكننا بحمد الله مسلمون" وهذا الكلام حجة على إخوان اليوم الذين خانوا إمامهم وعهدهم وساروا وراء الزيف الديموقراطي، وشوّهوا عقول الكثير من الشباب، وتسببوا في قتلهم وضياع ثورتهم.

نصل إذا إلى السؤال الذي يحيرنا جميعا، وهو ماذا نحن إذا فاعلون؟

---

[10] وهو كتاب جدير بالقراءة والنظر، ففيه الكثير من الفائدة.

الجزء السابع

(10)

لا يمكن أن يَزعم أحدٌ اليوم معرفة الحلّ الناجِع والنهائي للوضع الحاليّ الذي تمر به أمتنا المسلمة في مصر، أو الطريق إلى الخروج من ظُلمة الكفر التي أحاطت بها من كل جانب، إلى نور الإسلام وضيائه. فالوضع غاية في التعقيد والصعوبة، والتاريخ الذي أوصلنا إلى هذه النقطة، والآثار التي ترتّبت على الأخطاء المُتراكمة فيه، جعل هذا الطريق وذلك الحلّ كجنين متوارٍ عن أعين محبيه ومنتظريه، لا يروْن منه إلا ظاهراً من بطنِ أمه غير مُحدّد المعالم. إلا إننا نرى أن التصدّر لتحديد معالم هذا الطريق، بل ومساره وبنياته، رغم صعوبته وتعقيده، أصبح الواجب الأهم الذي يجب أن يُرَكِّز عليه المُهتمون بالقضية الإسلامية، من العلماء والدعاة المؤهلين لهذا النظر، فهو أمرٌ ما لا يَجْشَمُه إلا القادرون عليه.

هناك نقاط ، منها شرعية ومنها عملية، يجب أن ينطلق منها تصوّر الحلّ، الذي ينحصر، فيما نرى، في تصورين عامين لا ثالث لهما، سنبيّنهما بعد. تلك النقاط، التي يجب أن يتفق عليها العقلاء من العلماء والدعاة[11]، في تصورنا، هي:

1. أن كلمة "السلمية" كلمة مستحدثة لا أصل لها في الألفاظ الشرعية، ولم تستخدم بهذا المفهوم المُستحدث إلا في عصرنا الحديث. فإن دعوة رسول الله ﷺ لم توصف قطّ السلمية، بل وصفت في العهد المكي بالمهادنة وكف الأذى. فاشتقاق السلمية من المسالمة والسِلْم اشتقاق لا يصح في هذه المناط. ومصيبة المسلمين اليوم فيما استحدثوه من ألفاظ تعكس مفاهيماً غريبة على الإسلام، بمجرد تشابه تلك الألفاظ مع ما يظنونه من الشرع. ففتنة المفاهيم المضللة ما جاءت إلا من فتنة الألفاظ المُوَلّدة المُستحدثة. والإسلام لا يعرف "السلمية"، بل يعرف إما عهدا أو ذمة أو حرباً، والناس إما معاهداً وإما ذمياً وإما محارباً. والمعاهد يحفظ عليه عهده ما استقام عليه. والذمي لا تُخفر ذِمته إلا إنْ خان وبَرِأ من الذمة، والمُحارب لا سلام معه على وجه الإطلاقُ بل يُنبذ اليه على سواء. لكن نرى عدد من المحدثين يستخدم هذا التعبير ويفرضه على الأذهان فرضاً، ومثال على ذلك، في بعض ما كتب راغب السرجانيّ في معاهدات رسول الله ﷺ، يقول السرجانيّ الإخوانيّ "إلى هذا الحدِّ كان الأمر كله بيد المسلمين، وليس أمام اليهود اختيار غير الخروج، ومع ذلك ولرغبة رسول الله ﷺ في التعايش السلمي مع الآخر". وتعبير "التعايش السلمي" "والآخر"، هما من التعبيرات الخطيرة السّامة في كتابات المُحْدَثين.

وقد بنى الناس، وكثير من "قيادات العمل الإسلامي"[12] على هذه الكلمة، ومفهومها المُستحدث، تصورات نظرية ومواقف عملية لا أصل لها في أحكام الله سبحانه. إذ أصبحت "سلمية" منهجاً للتعامل مع الخارجين على الشريعة، لا الطرق الثلاثة التي ذكرنا. والإخوان، ومن نحا نحوهم، لا يرون بأساً في استحداث ما يرونه مناسباً بطريقٍ عقليّ، ثم يرغِمونه تحت مفهوم "المصلحة"، أي هم يحدّدون المصلحة أولاً، ثم يلحقونها بالشرع ثانياً، وهذا سَمتُ المبتدعة في كلّ زمانٍ، الذين يقدّمون بين يديّ الله ورسوله ﷺ، وإن كانوا لا يزالون تحت مظلة الإسلام العامة، كما عاملهم أئمة أهل السنة.

---

[11] إذ قد رأينا في أيامنا هذه "علماء ودعاة" أخبث وأحطّ من دود الأرض، كما رأينا منهم من هم أجهل من دوابها التي تمشى على أربع، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

[12] مرة أخرى، كثيرٌ من هذه القيادات قد تصدّت لهذا العمل دون تأهيل من علمٍ شرعيّ حقيقيّ، أو من واقع خلفية بدعية إبتداءً.

هذا المفهوم المُحْدَث، لا علاقة له بالخروج في التظاهرات التي دعينا اليها منذ أن أسّسنا "التيار السنيّ لإنقاذ مصر"[13] في يناير 2012، للوقوف في وجه الدولة العميقة المشركة، والتي جالفها الإخوان في كلّ خطوة خطوها حتى جاءهم اليقين!

يجب أن يتفق العَاقلون أنّ صورة الخروج للشارع بمئات الآلاف من المسلمين، ثم يأتي بلطجيّ واحدٌ، أو حفهة منهم بمطواة يلوّح بها في أوجه الآمواج المتلاطمة من البشر، فيرفع المتظاهرون أيديهم في الهواء، يلوحون بها ويهتفون "سلمية سلمية"، هذه الصورة هي خَبلٌ مَحضٌ وخروجٌ عن شرع الله في مثل هذا الأمر وقتلٌ للنفس، وإهدار للدم دون وجه حق. إن الدفاع عن النفس ضد المعتدي مبدأ أصيل في التصور الإسلاميّ لم يأت ما يخرجه عن أصوليته في أي صورة أو بأي شكلٍ، جاء في الحديث الصحيح "حَدَّثَنِي أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ يَعْنِي ابْنَ مَخْلَدٍ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، " أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي ؟ قَالَ : فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ ، قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي ؟ قَالَ : قَاتِلْهُ ، قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي ؟ قَالَ : فَأَنْتَ شَهِيدٌ ، قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ ؟ قَالَ : هُوَ فِي النَّارِ" مسلم. جاء هذا عن رسول الله ﷺ في الدفاع عن المال، فما بالك بالعرض والدم، وما بالك بالدين والشرع، وما بالك بمستقبل أمة بأكملها، يُستلب ويُسرق؟ هذا لعمرى لا يستوى في عقل عاقل، إلا من اتبع هواه. وقال تعالى "فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ" البقرة 194. ثم إنّ من يحتجّ بأن رسول الله ﷺ قد اعتُدي عليه في مكة فلم يردّ العدوان، نقول، البقرة سورة مدنية نزلت بعد الهجرة واستقرار أحكام الإسلام، ثمّ إن الوضع في حالة رسول الله ﷺ وصحابته الأطهار في مبدأ الدعوة في مكة لا يُسَوّيه بوضع المسلمين اليوم في مصر إلا مَخبول أو جاهلٌ أو مُغرضٌ، اختر لنفسك ما شئت! فإن الصحابة أيّامها كانوا يواجهون العدوان فرداً فرداً، ليس لأحدهم نصير يحميه. أما اليوم، فأن يخرج مئات الآلاف فتهددهم حفنة بلطجية، فيرفعون أيديهم يلوّحون بها في الهواء "سلمية سلمية"، فهذا ليس له شاهدٌ من أيّ واقعة في السيرة المُحمدية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

علينا أن نتفق إذن، منذ الآن، أنّ هذا المبدأ ليس بمبدإ شرعيّ، بل هو، على الأكثر "**موقفٌ عمليّ**" لا مبدأٌ، يمكن للمتظاهرون أن يتخذوه أمام القوة الغاشمة الباطشة، لا أمام حفنة من البلطجية التي تُعد على أصابع اليد، وأنّ اتخاذه كمبدأ عامٍ هو ما جعل المتظاهرين يقفون هذا الموقف ويُسوّون بين القوة الغاشمة الباطشة وبين حفنة من البلطجية التي تعد على أصابع اليد! وهو خللٌ في التَصوّر وانحرافٌ في الطريق، يقودنا اليه الإخوان، مرة أخرى، بل مرة عاشرة، بعيداً عن منهج الله سبحانه.

ثم ننتقل إلى الحديث عن نقطة "الجهاد" وما يجب أن نتفق عليه بشأنه في المرحلة المقبلة، قبل الشروع في الحديث عن حلول آنية أو آجلة.

يتبع إن شاء الله تعالى.

الجزء الثامن

قبل أن نبدأ في حديثنا في هذه الحلقة، أود أن أعلن استيائي من حقيقة أنّ كافة الدعاة والعلماء المخلصين، ممن يناهض الإنقلاب الكفريّ في مصر، لا يوجّه الفكر والحديث عن "تصور المستقبل وتطوّر الحركة الإسلامية في ظلّ الأحداث الواقعة على الأرض، والتمكن الفعليّ للنظام الكفريّ من السلطة". ولا شكّ أنّ نقطة بداية البداية هي، على سبيل المثال، إنشاء مجلس

[13] راجع كتبنا التي طبعت في القاهرة عام 2012 تحي عنوان "التيار السني لإنقاذ مصر"، و"عقيدتنا" و"حركتنا"، ومنها ما هو منشور على موقعنا http://www.tariqabdelhaleem.com/new/ArticalList-114، وعلى موقع المقريزي، وعلى موقع التيار السني لإنقاذ مصر http://www.tayarsunni.com/ar/index.php.

لوضع مثل هذه الخطوات، نظرياً وعملياً، تتحرك به الدعوة. وهو عين ما أحاول في هذه السلسلة من المقالات. ولعلنا نوجّه الدعوة قريباً لعدد من هؤلاء المخلصين لمثل هذا الحوار، إذن كما سبق أنْ ذكرت في مقدمة الحلقة السابقة، "لا يمكن أن يَزعم أحدٌ اليوم معرفة الحلّ الناجِع والنهائي للوضع الحاليّ الذي تمر به أمتنا المسلمة في مصر، أو الطريق إلى الخروج من ظُلمة الكفر التي أحاطت بها من كل جانب، إلى نور الإسلام وضيائه".

(11)

في حديثنا اليوم نتناول مفهوم "الجهاد" الذي نعنى به دفعَ الصائل في بلادنا الإسلامية. وننبه، مرة أخرى، أنّ دفع الصَائل المُعتدى، ليس مباحاً، بل واجباً حَتماً على كلّ مُسلمٍ وجوباً عينياً مؤكداً. وهذا المفهوم، والجهاد بشكلٍ عام، قد غاب عن الدعوة الإخوانية المحدثة، بعد أن هجره الجيل الثالث من أجيالهم، واستبدلوا به الجهاد الديموقراطيّ، من أمثال عصام العريان والكتاتني وعبد المنعم عبد الفتاح، مع خيانة الأخير لدينه. وكان أثر ذلك مدمراً على جيل الشباب الإخوانيّ الحاليّ، بل وعلى من تعاطفوا معهم من عَوام الشعب المصري، المتدين فطرة.

لن نستفيض في هذا الموضع في إيراد أدلة وجوب الجهاد ودفع الصائل، بل يكفي أن نورد هنا قول الله تعالى "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ" الحج 39. وما ذكره شيخ الإسلام بن تيمية في فتاواه"أما قتال الدفع وهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين فواجب إجماعاً فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه فلا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان". ودفع الصائل أمرٌ فطريّ لا حاجة فيه لكثير استدلال، إنما ينشأ الهروب منه من جراء اختلال الفطرة كما في بعض الديانات الهندية. وهو يجب على كلّ مسلمٍ ومسلمة بقدر ما يمكنهم وما يتيسر لهم بشكلٍ فرديّ أو جماعيّ، دون أن تنعقد له راية.

وما نحن فيه في مصر اليوم هو من باب جهاد الدفع أو دفع الصائل ولا شك. فإن التسميات لا تغنى عن حقائق الأشياء. وتسمية الجيش الملحد المعتدى بالجيش المصري لا يرفع عنه صفة الصائل، إذ هو يصول على أبناء الديار من المسلمين خاصة، بل وعلى جيرانهم من الفلسطينيين المنتمين لحركة إسلامية، والمعادين لحركة فتح الملحدة، فيقطع عنهم الغذاء والدواء، ولو استطاع لقطع عنهم الماء والهواء، قاتله الله من جيش ردة وكفر، قيادة وجنوداً، أجمعين.

إذن فيجب على من تصدى للحركة الإسلامية اليوم أن يكون ممن يرون الخلل الذي حدث في البنية الفكرية الإسلامية، وأن يعمل على تصحيحها في هذا الباب الأهم من أبواب الفقه، ونقصد به باب الجهاد ودفع الصائل.

إن خطر هذه الجيوش العربية، وعلى رأسها جيش الإحتلال المصريّ، هو أنها الجلاد والسجّان لشعوب مِنطقتنا العربية المسلمة، وهي يد الصهاينة الباطشة، ودرعهم الواقي من أن تواجههم القوة المسلمة يوماً.

إنّ استمرار هذا الخلل، والذي يتمثل في فكر "السلمية" الإخوانيّ، واعتباره مبدأً من مبادئ الدين، لهو قارعةٌ قاضيةٌ في حد ذاته، إذ هو تدجين مُمَنهج لأفراد الشعبِ المُسلم في وجه قوة عكسرية باطشة وكتلة مدنية مرتدة.

إن مخالفة السنن الكونية والركائز الفطرية والمسلمات العقلية في هذا الأمر، وهو وجوب دفع الصائل، قد أدى بالفعل إلى كثيرٍ من الضرر بالمسلمين، وهو، بلا شك، إن استمر، سيؤدى إلى استحالة النصر، ولا نقول تأخّره.

إن التحرر من الفكرة "السلمية"، هو واجبٌ على كلّ داعية مخلصٍ أن يعمل على تصحيحه، كما يعمل على تصحيح مفهوم التوحيد، أو فكرة "التكفير"، أو ما شئت من تصورات منحرفة ومحرّفة في عقول العوام.

ولسنا نزعم هنا، قبل أن يهاجمنا العوام ممن يسبق لسانُه عقلَه، أنّ المواجهة مع هذا الصائل الباطش الملحد يجب ان تتحقق اليومن وفي كل موضع، وعلى أي حال، بل نحن نزعم أنه يجب أولاً أن ننتزع فكرة السلمية من عقول الناس، وأن نستبدل بها فكرة الجهاد ودفع الصائل، ثم أن يكن هناك ترتيب لهذا الدفع والذود عن النفس، منه ما هو حالٌ عاجلٌ لحماية المتظاهرين

العُزّل – ولا أقول المسالمين، فالمسلم ليس مسالماص إلا لمن سالمه – ومنه ما هو آجل لضرب الجيش الصائل في مفاصله وتعجيزه، كما سنبين بعد.

هذا القدر الذي ذكرنا، لا جدوى من الحراك الإسلاميّ دون وعيه والإيمان به والتحرك في اتجاهه، قولاً واحداً. ولا جدوى من مناقشة أو محاورة إلا أن يكون أطرافها ممن يوافقون على هذا التصور ابتداءً، وغير ذلك عبثٌ لا طائل من ورائه.

(12)

ثم ننتقل إلى تعبيرٍ يُثار كثيراً، وإن خفّت وتيرته في الأيام القليلة الماضية، وهو تعبير "المصالحة الوطنية".

و"المصالحة الوطنية" تعبيرٌ باطلٌ شرعاً ووضعاً في شقيه جميعاً. فالوطنية تقوم على مفهومٍ باطلٍ شركيّ، هو مفهوم "المواطنة"، والذي يعنى أننا، ككتلة من البشر، نوصف بالجماعة على أساس الرقعة الجغرافية التي نتقاسمها، تماما كالبهائم تنتمى إلى حظيرة واحدة، لا على أساس الدين السائد على هذه الرقعة، كما في دولة الكيان الصهيونيّ، التي تتخذ اليهودية المحرّفة طامهاً لوحدتها، والتي هي الوحيدة في العالم لا تزال ترفض مفهوم العلمانية ولا تحيا على أساسه. وقد استخدم هذا المفهوم كثير من "المفكرين الإسلاميين" كالعوا وهويدي والبشرى، وتبنّته الإخوان كعادتها في تبنى ما هو مخلّط عقدياً، وقد كتبنا في نقد هذا المفهوم الشركيّ ما يمكن أى يرجع اليه القارئ إن شاء[14].

أمّا عن "المصلحة" فهي فكرة باطلة شرعاً ووضعاً. فالشرع لا يُقر مصالحة مع الخارجين عن الدين، المرتدين من المحاربين لله ورسوله ظاهراً وباطناً، هؤلاء المحاربين لا تصح معهم مصالحة، بل يمكن أن يكون معهم عهدٌ إلي حين، لا إلى أبد الآبدين، وهو ما يمكن تصوره في حالة المحارب المقيم كهذه الطائفة المرتدة من المصريين. فالحديث عن المصالحة باطلٌ شَرعاً. أما عن "المُصالحة" واقعاً، فهذا أمر يدعو إلى السخرية الحزينة والفكاهة المرّة! كيف يتحدث من يتحدث عن المصالحة وهؤلاء المرتدين يقتلون ويعتقلون ويزورون ويخربون المساجد ويحرقون المصاحف ويعطلون الصلوات. أية مصالحة يمكن أن تكون مع هؤلاء الكفرة الملاحدة قياداتٍ وجنوداً؟ هم أنفسهم لا يقولون بمصالحة لأنهم أوعى من "الإسلاميين"، إذ يعرفون أنّ لا مصالحة مع خصم الدين، دينهم العلمانية والإلحاد، ولن يقبلوا أيّ مشاركة للإسلام من أي نوعٍ ولو كان إسلاماً إخوانياً أو أمريكياً.

هذه نقاطٌ يجب أن يجتمع عليها من يريد أن يرى طريقاً للخروج من الأزمة الحالية التي يعيشها المسلمون، في مصر وبقية العالم العربيّ المسلم.

فما هي معالم طريق هذا الطريق إذن؟ هذا ما سنتناوله في الحلقات القادمة إن شاء الله تعالى.

الجزء التاسع

بعد تلك الجولة الخاطفة في تاريخ وحاضر الواقع المصريّ، وما تعيشه البلاد من نكسة لا تقارن بأي من نكساتها الحديثة، بدءاً من الإحتلال الإنجليزي في أواخر القرن التاسع عشر، إلى هزيمة 67 التي سحق فيها الكيان الصهيونيّ الجيوش العربية مجتمعة، فلننتقل إلى محاولة وضع تصورٍ الخروج من هذه الأزمة التي أصابت المسلمين باستهداف الإسلام أولاً وأخيراً من قِبَلِ قوى الكفر العسكريّ السيسيّ.

(13)

---

[14] راجع مقال "مفهوم المواطنة بين الإسلام والعلمانية" http://tariqabdelhaleem.com/new/Artical-455، ومقالنا "محمد عمارة في ركب أرباب المواطنة"http://tariqabdelhaleem.com/new/Artical-461 وكتابنا "دفاع عن الشريعة" المطبوع في مصر برقم ايداع 13498-2012

هناك اتجاهان في رؤية الحل، أحدهما يقع في دائرة المحتمل القريب، والآخر في دائرة الممكن البعيد.

أمّا الإتجاه الأول، فهو الذي تصبو اليه قلوب وعقول الكافة من علماء ودعاة وعوامٍ وقادة المعارضة المسلمة، وهو أن يقع "أمر ما"، غير محدد، فيقلب الموازين، ويبدل توازن القوى على الساحة. هذا "الأمر"، له شكلان، إما أن يكون محض تفضلٍ من الله سبحانه، بعد أن يعجز الناس عن نصرة الدين، فلا يكون هناك إلا "ربُ البيت يحميه". وإما أنه سيقع حسب قانون الأسباب والمسببات، فهو لن يخرج إذن عن أحد الأشكال التالية:

- أن يحدث انقلاب أو تمرد في صفوف الجيش، يزيل القيادات الخائنة، ويعيد السلطة إلى أصحابها.
- أن تؤدى التظاهرات والسلاسل البشرية، التي لا تزال تخرج على استحياءٍ في أماكن متفرقة من البلاد، إلي زعزعة النظام، بشكلٍ ما، حتى تُسقطه.
- انهيار الإقتصاد، مما يؤدى إلى عصيانٍ مدنيّ، أو موجة من الإنفلات الأمنيّ الذي لا تستطيع أية قوة أن تسيطر عليه، فلا يمكن للدولة أن تظل متماسكة ككيان، فيسقط النظام تلقائياً.
- تدهور الحالة الإجتماعية وازدياد الإستياء من الإعتقالات وسفك الدماء فتخرج تظاهراتٍ لا تبقى ولا تذر.
- أو كل ما سبق مجتمعاً.

فالأول منهما ليس لنا فيه يدٌ إلا الدعاء والتضرع، ثم أمر وقوعه هو لله وحده، حسب مشيئته الكونية، إن كنا مستحقين لهذا التفضل الإلهيّ.

أما الشكل الثاني، وفيه تلك الإحتمالات الربعة، فإن الإحتمالين الأول والثاني في غاية الضعف. فالجيش لايمكن أن يحدث فيه تمرد، إذ هو في قبضة أمنية أشد وأعتى من قبضة الأمن على الشعب. والسيسي الملحد كان رئيساً للمخابرات الحربية، فهو يعرف كل قيادة، ومدى انحطاطها وإيغالها في الكفر. فهذا الإحتمال محض خيال لا حقيقة فيه.

أما المظاهرات والسلاسل البشرية، فقد أصبحت مجرد رمزٍ لمقاومة قائمة في نفوس الناس، لا تأثير لها على واقع، إذ من العبث أن نعتقد أن تلك الحفنة من المتظاهرين، وراكبي الدراجات ستقضى على سيطرة السيسي اللعين، حيث لم تتمكن جموع رابعة والنهضة، رغم تضحياتهم وكثرة عددهم، أن يقضوا على هذا اللعين المارق وجيشه الملحد.

أما الإحتمالين الثالث والرابع، فقد يكون فيهما بعض أملٍ أن يتحققا، إلا أنّ التجربة البشرية قد أثبتت أن الجيوش تتغلب في حالة الفوضى الإجتماعية وتقوى قبضتها في حالة الإنهيار الإقتصاديّ، إذ يصبح الجيش وحده هو صاحب الإمكانيات والمسيطر على الصادر الباقية للدولة، بينما يموت الناس جوعاً. وهذا السيناريو هو ما يسعى اليه الجيش الملحد، لا ما يريد تجنبه. كذلك في حالة حدوث انهيار اجتماعيّ وفوضى وسلبٍ ونهب، ساعتها يمكن للجيش أن يقتل بلا حدود، وأن يفرِض سيطرته على أماكن محددة من البلاد، يديرها من خلال منظومته الأمنية وعبيده من الشعب المُرتد الموازى. وهذه هي صورة الحكومة في المنطقة الخضراء في العراق على سبيل المثال.

على أي حال من هذه الأحوال، فإنّ الوضع الحاليّ يجب النظر اليه، من قِبَلِ أصحاب النظر الشرعيّ، نظرة جديدة، لا تبنى على وضع قائم، بل تؤسس لوضع قادم.

المنطلق يجب أن يكون من حقيقة أنّ الوضع القائم قد استقر للنظام الكافر، بلا خلاف على ذلك من العقلاء.

المنطلق يجب أن يكون من حقيقة أنّ الشعب قد انقسم إلى طائفة مرتدة ردة حقيقية، بالولاء للكفار والرضة والدعم والتفويض للكفر العسكريّ السيسي البواح، وطائفة، وهي الأقلية، قد حافظت على دينها وأخلصت لربها، على خللٍ في تصوراتها.

المنطلق يجب أن يكون من حقيقة أنّ العسكر لن يتنازل عن السلطة طوعاً واختياراً، بل كرهاً وإضطراراً.

وهو ما سنتناوله في الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى.

الجزء العاشر: المنطلقات

انتهينا في الحلقة السابقة إلى أنّ:

- المنطلق يجب أن يكون من حقيقة أنّ الشعب قد انقسم إلى طائفة مرتدة ردّة حقيقية، بالولاء للكفار والرضى والدعم والتفويض للكفر العسكريّ السيسي البواح، وطائفة، وهي الأقلية، قد حافظت على دينها وأخلصت لربها، على خللٍ في تصوراتها.
- المنطلق يجب أن يكون من حقيقة أنّ العسكر لن يتنازل عن السلطة طوعاً واختياراً، بل كرهاً وإضطراراً.

وأضيف إلى ذلك أنّ:

- المنطلق يجب أن ينبنى على فهمٍ صحيح متكاملٍ للإسلام، يشمل كل جوانبه، بلا إفراطٍ ولا تفريط، كما سنبيّن إن شاء الله.
- المنطلق يجب أن يبدأ من أنّ النهج الإخوانيّ قد استنفذ رصيده في الشارع المصريّ، ويجب ألا يعود إلى السطح الإسلاميّ لا في السياسة ولا في الدعوة، منعاً من اجترار الأخطاء مرات بعد مرات، وأنه يجب أن يبنى المسلمون حركتهم القادمة على أنقاضه ويستفيدون من دروس فشله في السياسة والدعوة، وأن يكون الهدف هو بناء حركة مسلمة[1] لتبدأ من حيث بدأ حسن البنا دعوته، لا من حيث انتهى الأمر بحركة الإخوان إلى ما هم فيه اليوم.
- المنطلق يجب أن يبدأ بالإيمان بأن المواجهة المسلحة مع قوى الكفر هي النتيجة الحتمية لأية دعوة مسلمة، لا وسيلة غيرها، وإن تأخر موعد انطلاقها إلى حين.

(14)

وسيكون تناولنا في النظر إلى استشراف المستقبل للحركة المسلمة مبنيٌّ على تحليل مركبات الحركة، ثم النظر في كيفية تطوير هذه المركبات. وهو منطلقٌ نحسب أنه جديد في بابه، من حيث يتناول مركبات الحركة، ثم ينسب لها ما يُنتَظَر من فعلها، بدلاً من أن يرسم للحركة خطواتها، كما هو سائدٌ في هذا اللون من الدراسات.

ومركبات الحركة المسلمة، كما نراها، تنحصر في التالي:

- منظّرى الحركة ودعاتها
- قيادة الحركة وصفها الأول
- الصف الثاني من القيادات الحركية
- أبناء الحركة المسلمة وقاعدتها العريضة
- الدعوة والإعلام المسلم
- الإنتشار الحركيّ ومراكزه.

هذه هي المُرَكّبات التي نرى أنه يجب أن يتناولها البحث والنّظر، والتحليل والتوجيه لبناء الحركة المسلمة في المرحلة المقبلة.

(15)

القيادة الفكرية للدعوة

لا شك أن الموجّه والمُحرك الرئيس للدعوة هم علماء الشريعة وفقهاء الأمة من أصحاب المنهج السنيّ الصحيح والعقيدة الصافية والنظر الدقيق والمنطق الصائب، لا أولئك الذين يأخذون من العلم قسطاً يسيرون به بين الناس كأنهم من هؤلاء، ولا من يتعلمون العلم ليجنّدونه في سبيل نصر الباطل ودعم الإفساد. فهذه الجمهرة من المُوجّهين هي التي ترسم للحركة المسلمة طريقها، وترسى بنيّانها على لبنات ثابتة من الشرع الصحيح، الذي يوافق الفطرة السوية والعقل الراجح. ودون أن يكون هناك قيادة للأمة المسلمة تخطّ القواعد وترسم الحدود، فلا أمل من تقدم أو نصر. إذ هو مقتضى النهج الإلهي الذي اعتمد مسيرة الأنبياء كقادة ودعاة، ليقيموا دين الله في الأرض.

ويجب هنا أن نبين الفرّق بين العلم والدعوة ومن ثم بين العالم والداعية. فالعالم قد لا يكون داعية بطبعه، ويقتصر مجاله على البحث والإفتاء، ومن الدعاة من لا يكون عالماً، فيجب أن يقتدي بعالم ربانيّ، ولا ينطلق في الدعوة على هواه. إذ هذا مكمن الخطر وأصلٌ من أصول البلاء.

وقد انهارت المنظومة العلمية في مصر، والعالم الإسلاميّ أجمع، في العقود الأخيرة، نظراً لأمرين أساسيين، أولهما غياب القدرة العلمية الحقيقة بالإحترام والإتباع، وظهور جيل من طالبي العلم، المتلبسين لباسه، واتباع العامة والدهماء لهم.
وثانيهما، الإنحطاط العنيف في القدرة العقلية لدى العامة والدهماء، وتدهور منظومة القيم لمستوى الصفر. هذان الأمران، قد أديا لظهور جيلٍ ساقطٍ، منهم من انخدع بأمثال العَاهر البرهاميّ ومحمد حسان وخونة حزب الزور، ثم عرف حقيقة هؤلاء لوانضم إلى الأقلية المسلمة الباقية، ومنهم من كان بعيداً أصلاً عن دين الله، وأعانته البيئة العلمانية على ممارسة الإنحطاط الديني والخلقيّ فاستمر على الإنخداع، وتابع ورضى ودَعَم الكفر السيسيّ.

الجمهرة التي يجب أن تتصدى للتوجيه والتعليم اليوم يجب أن تكون صفوة علماء اليوم وخيرة دعاته. وإن نظرنا بمقياس دقيق إلى الزمرة المتاحة، والتي تعي تلك المنطلقات التي أثبتناها قبلاً، وجدناها لا قلّة نادرة لا تتعدى أصابع اليدين. فإنّ "علماء" اليوم، المحسوبين على "العلم" هم إما:

- منافقون مداهنون من أتباع السلطان، وحاشية الظلم ومشرعى الكفر، مثل على جمعة والطيب والعاهر البرهامي ومخيون، وأمثالهم ممن اتبع أعلام الكفر ودخل تحت لوائه.
- أصحاب مصالح، يبيعون أنفسهم وأعراضهم من أجلها، مثل محمد حسان.
- مغيبون عن فقه الواقع، لا يعلمون موضع ما يقولون في دنيانا هذه وأشهرهم الحوينيّ.
- مبتدعة، أما بدع كفر أو بدع في أصول كلية، وهم من يسمونهم "المفكرين" الإسلاميين، فهم ليسوا علماء بالمعنى الشرعيّ، ولكنهم ألبسوا هذا اللباس عنوة، مثل فهمى هويدي ومحمد عمارة وسليم العوا وسائر هذه الطبقة من "المفكرين."
- أفاضل سنيون، من العلماء والدعاة، ، تتراوح درجات علمهم الشرعيّ بين العلم وطلب العلم، كما تتراوح تجربتهم بين سنين قليلة وعقوداً عدة. منهم من استقام على الطريق بلا خلل في تصور أو انحراف في جزئية، ومنهم من لا يزال لم تتضح الصورة كاملة واضحة في ذهنه.
- علماء ودعاة أفاضل، استقاموا على المنهج واتضحت لهم معالمه، ونجوا من الإنحراف العقدي أو الواقعيّ، قدر ما يتاح لإنسان يصيب ويخطئ.

هذه الطائفة الفاضلة المخلصة عليها دور اليوم يجب أن تضطلع به على الفور، ودون إبطاء أو تلجلج. وهو ما سنبيّنه في الحلقة التالية إن شاء الله تعالى.

---

[1]نسميها حركة مسلمة، لا إسلامية، إذ إن تعبير "الإسلامية" كان وليداً لتصورٍ يرى أن القاعدة مسلمة وأن النخبة الدعوية "إسلامية"، وهو ما ثبت زيفه، إذ نحن اليوم ندعو للإسلام لا للإسلامية.

الجزء الحادي عشر:

من المهم الحاسم هنا، ونحن نتحدث عن الجمهرة العلمية السُنية المُخلصة، أن نشدد على أنها جمهرة تعي الواقع الحاليّ بكافة أبعاده الشرعية والواقعية. ومن ثم، فإن الخلفية العلمية التي يتطلبها تحقق هذا الوصف يجب أن تكون في مجال العلم الشرعيّ أصالة، ثم العلوم التابعة مثل علم الإجتماع أو التاريخ أو اللغة. لكن كلا المجالين يجب أن يكون على درجة عالية من التحقيق بما يكفي لا أن يجنب صاحبه الخلل الشرعيّ أو السذاجة الواقعية فحسب، بل يجعل له نظراً مستقلاً واستشرافاً واعياً.

(16)

نعلم أنّ الواقع الحاليّ لم يُنتج نظراء سيد قطب أو محمود شاكر وأضرابهما، لكن هذا لا يعنى أن تعتمد الحركة المسلمة على كفاءات علمية توجه حركتها وترسم خطواتها، ثم لا تتمتع بقدر وافٍ من صفات العالم أو الداعية بحقٍ، وعلى أساس شرعيّ مكينٍ لا على أساس شهرة أو دعاية، حتى لا يقع العامة، الذين هم موضوع هذه الدعوة ووقودها، في شبهات وانحرافات وتنظيرات باطلة أو واهمة.

وهذه الجمهرة لا تتقيد بقطرٍ أو بلد معينٍ، بل هي تشمل كافة من تتحقق فيه الشروط التي ذكرنا من أي بلدٍ كان على اتساع خارطة العالم الإسلامي.

والبحث عن هذه الجمهرة من العلماء، وتوحيد صفّها وانشاء خطوط اتصالاتها هو عمل كل فرد منها. ولا نرى ذلك إلا من خلال التواصل بين أفرادها ممن يجدون في أنفسهم الكفاءة من خلال من يعرفون في دائرة العمل الإسلامي، ثم يتم وصل الحلقات المختلفة بعضها ببعض لاحقاً. وهو عين ما نحاوله من خلال دعوتنا للحوار التي نشرناها في الأسبوع الماضى.

وعمل هذه الجمهرة من العلماء يكون أساساً في دائرتي **التنظير والتبصير**. فالتنظير يعنى وضع الأسس النظرية الشرعية التي ينطلق على أساسها العمل الحركيّ، والتبصير هو دعم العمل الحركيّ بالتوجيه ورسم التوجه العام، لا التفاصيل الميدانية.

أولاً: دور التنظير: ويتلخص دور هذه الصفوة في دائرة التنظير في نقاط عدة، منها، على سبيل المثال لا الحصر:

1. إعادة صياغة أبحاث التوحيد في ضوء الواقع الحاليّ، واستناداً على أحداث السيرة النبوية الشريفة.
2. رسم معالم الطريق وتحديد منطلقاته الكبرى بناءً على الصياغة التي ذكرنا.
3. تدوين القواعد الأصولية التي ترتكز عليها تلك المعالم والمنطلقات، حتى لا تكون عرضة لمشاغباتٍ غير مدعومة بأصول محددة. ونذكر في هذا الشأن، على سبيل المثال، ما دوّناه في توضيح أصل "المصلحة" وما شغب به المنحرفون على هذه الأصل العظيم، في كتابنا "المصلحة في الشريعة الإسلامية"[15]. وهو ما يجب أن تقوم به هذه النخبة في صدد كافة القواعد الأصولية التي تُعنى برسم معالم الطريق ومنطلقاته.
4. الرد على شبخات المبطلين ودعاوى المرجفين، وإن كنا نرى أن يكون ذلك في أضيق الحدود، حتى لا يضيع جهدها في مناوشات جانبية أثرها محدود بأثر من يشعل فتنتها.
5. وضع إطارٍ نظريّ للعمل الحركي، يكون من الليونة والاستيعاب ما يُمكنه من الملاءمة والمواءمة حسب المكان والزمان الظروف.

ثانياً: **دور التبصير**: ونعنى به دور هذه النخبة في متابعة ما يدور على الساحة الحركية، بناءً على تلك التصورات والمنطلقات التي رسموها وأرسوا أصولها. وإن من أشدّ عوامل الفشل في أية حركة دعوية، هو الإنفصال بين الفكر والحركة، بين العالم والعامل، إذ ساعتها يتسلل العدو المتربص من الشرخ الواقع بينهما، سواء عدو النفس والجهل، أو عدو الأرض والساحة. ومن ذلك، على سبيل المثال لا الحصر:

---

[15] http://www.tariqabdelhaleem.com/new/Artical-70583

1. المساهمة في اختيار قيادات العمل الحركي الميداني على أسس شرعية ثابتة صارمة. وكفانا مثالا بخطورة التغافل عن هذا الدور ما رأيناه من عمل الإخوان في اختيار قياداتهم الميدانية الذي بنوه على مبدأ "الولاء قبل الكفاءة"، فكان ما كان.
2. توجيه القيادات في أمور الحَركة الكبرى، والعمل كمرجعية علمية في أمور الدعوة والحركة، بشكلٍ متفاعلٍ متكاملٍ
3. دراسة المتغيرات الواقعية على خارطة السياسة والواقع، لتحديد التَعامل الشّرعي على أساسها، حيث أن استمرار الحركة دون مواكبة المُتغيرات ينشأ عنه كوارث مدمرة. ولا سبيل إلى مثل هذه المرونة ومواكبة الأحداث في الحركة إلا من خلال التفاعل المُستمر لتلك النخبة.

من ثمّ، يجب أن تتكون هيئة علمية سُنّية، لا على نسق هيئة علماء المسلمين القرضاوية، بل هيئة مستقلة لا ترتبط بدول أو تجمعات حالية، وتتسع عضويتها لمن يحمل الكفاءة والخبرة للتصدى لهذا الدور.

ونوالي الحديث في الحلقة التالية إن شاء الله تعالى.

الجزء الثاني عشر:

انتهينا في الحلقة السابقة إلى أنه "يجب أن تتكون هيئة علمية سُنّية، لا على نسق هيئة علماء المسلمين القرضاوية، بل هيئة مستقلة لا ترتبط بدول أو تجمعات حالية، وتتسع عضويتها لمن يحمل الكفاءة والخبرة للتصدى لهذا الدور".

(17)

والحق، أن كثيراً من الهيئات والإئتلافات والتجمّعات قد نشأت ثم ذهبت أدراج الرياح دون نتيجة تُذكر على أرض الواقع، وذلك لأسباب عدة، منها عدم وضوع الفكرة واختلاط التصورات وضعف الإرادة والعوامل الشخصية من أنانية وهوى والتبعية المادّية أو المعنوية لنظمٍ بعينها، وغير ذلك مما يُفْشل أيّ تجمع علميّ أو حركيّ ويجعله، وإن عاش، عديم الجدوى سليب الإرادة.

ومن ثمّ، فإننا لا نعنى بتجمّعنا هذا الذي نقترحه، سواءً كان هيئة أو إئتلافاً أو غير ذلك مما شِئت من تسميات، أن يكون صورة مكرورة لمثل هذه التجارب الساقطة. بل نحن نعنى هنا أن يأخذ هذا التجمع بكل أساليب النجاح، علمياً ومعنوياً ومادياً وأمنياً.

وهذا، بلا شك، يمثل أول تحدٍ للجهد المطلوب على الساحة المسلمة، بل هو أكثرها خطراً وأعظمها أثراً، نجاحا أو فشلا.

أود كذلك أن أؤكد على معنى هام، وهو الفارق بين العالم المُتخصص والداعية والخطيب، مهما ذاع صيته وعظم عدد مستمعيه. ربّ عالمٍ بداعية، أعطاه الله الحسنيين من علم حقيق، وقوة بيان وخطابة وأثر في العامة، وهؤلاء هم القلة النادرة. وربّ عالمٍ ليس بداعية، فهو يكتب ويبحث ويُخَرّج ما شاء الله له، لكنه لا يتمتع بقدرة على التأثير في الناس خطابةً كالدعاة الأصلاء. وقد كان ذلك ميزة حتى بين الأنبياء، كما قال موسى عليه السلام "واحلل عقدة من لساني"، بينما أوتي محمد صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم.

ثم إنّ الداعية يجب أن يتمتع بقدر من العلم حتى لا ينطلق بين الناس، يتحدث بما لا أصل له. لكنه، في ذات الوقت، يجب أن يعلم أنه ليس بعالمٍ ولا بمفتٍ، فليس كل من اعتلى المنبر بعالم، وفرقٌ كبيرٌ بين العالم والداعية والخطيب. والأخير هذا لا يشترط فيه ما يُشترط في الداعية من صفاتٍ، إذ جُلّ دوره هو الخطابة، وهي جزء من الدعوة لا كلّ الدعوة. فالداعية يتحلى فوق الخطابة بالقدرة على التفاعل مع الناس على الأرض تَحاوراً ونقاشاً وصبراً على الناس وجَدلاً بالحق، وهو ما لا يُشترط في الخطيب أو العالم.

ولا أريد، بل ولا أستطيع هنا أن أرسم لهذه الجمهرة خطواتها، إذ هذا شأنها وحدها، لكننا أردنا هنا أن نضع الحصان أمام العربة، كما يقال في المثل، أو السلاح في يد المقاتل، ثم هو أدرى بكيفية استخدامه على الوجه الأمثل.

(18)

قيادة الحركة وصفّها الأول:

وهذا هو المُركبّ الثاني من مركبات الحركة المسلمة، كما نتصورها.

والحركة المسلمة هي الناتج الأساس للحركة العلمية، الذي ترعاه وتقوم على نشأته وتغذى عقله وتوجّه قوته. فإن الدعوة لا تقوم بدورها بدون حركة على الأرض، تتحرك بالتصورات وتجسد المبادئ في أعمال ومواقف.

والحركة المسلمة تتمثل في قادتها بكل ما فيهم من صَلابة أو رخاوة، من إقدامٍ أو إحجام، من سنيةٍ أو بدعية. والإخوان، كانت ولا تزال، أصدق دليل على ذلك.

ولعل أهم ما يجب لأن يتوفر في قادة تلك الحركة:

- عدم الإنتماء إلى أية جماعةٍ في سابق تجربته، إذ كلّ تلك الجماعات اليوم مشوبة إما بخللٍ في تصور الحركة أو انحرافٍ في فهم العقيدة، فهذا الإنتماء، خاصة في حالة الإخوان، كالفيروس الذي يستقر في خلايا الجسد لا يشفيه مضادٌ حيويّ. وقد رأينا بالفعل أنه ما من إخوانيّ سابقٍ، حتى وإن ترك الجماعة، إلا وتعلقت بعض أدبياتها بفكره، سواء ديموقراطياً أو سلمية أو وطنية، أو أي من انحرافاتها، وقل مثل ذلك في منتمي الجماعة الإسلامية وغيرها، لا يسلم من بلواهم أحدٌ تلوث بها في مسار حياته يوماً . وهو ما ينعكس سلباً على طريقة تناوله للأمور وتصوراته للأحداث.

  والشباب النقي الذي لا ينتمي لمثل تلك التجمعات كثيرٌ والحمد لله، وقد رأيت وقابلت كثيراً منهم مما يجعلنى آمل خيراً في القادم ولا أعوّل على الماضى.

- صواب المنطق وصحة النظر، فإن الخلل في المنطق الإنسانيّ الذي تعكسه الفطرة السوّية، لا يأتي بخيرٍ مهما بلغت درجة العلم.
- قوة الشخصية والقدرة على التأثير والتحكم، لا من واقع المركز القياديّ بل من الصفة القيادية ذاتها. والقدرة القِيادية منها ما هو من الفِطرة الخَلْقِية والطبع الأصيل، ومنها ما يمكن تَنميته بالعلم والدرس والتدريب[16].
- القوة في الحق، بعيداً عن التعصب، وقد شرحنا الفرق بينهما بتوسعٍ في كتابنا "مقدمة في اختلاف المسلمين وتفرقهم" فارجع اليه على موقعنا[17].
- أن يكون القادة ممن فيهم قوة مع لين، فالقائد القويّ كالمؤمن القويّ، أحب إلى الله من المؤمن الضعيف. والفارق أن المؤمن الضعيف لا يزال فيه خير، لكنّ القائد الضعيف، من حيث مهمته في القيادة، كارثة على نفسه وعلى جماعته وعلى أمته. وقد رأينا مثال ذلك في حكم د محمد مرسى، فكّ الله أسره، أعاده إلى أهله سالماً، فقد كان مومناً قوياً، على انحراف في التصور العقديّ، ولكنه كان قائداً ضعيفاً و شك.

---

[16] ولعل القارئ أن يرجع إلى مقدمة رسالة الدكتوراه التي حصلنا عليها في علم القيادة والإدارة "Leadership"، والتي سننشرها على هذا الموقع في خلال الأسبوع القادم.

[17] http://www.tariqabdelhaleem.com/new/Artical-4

- أن يكون للقائد إماماً وشيخاً، من علماء أهل السنة والجماعة، يرجع اليه عند الحاجة ويتصل به اتصالاً مباشراً، وأن يكون مُوقراً لكلّ علماء السنة عامة، دون أن يكون تابعا ذليلاً، أو مقلداً عتيداً. وقد انقسم المسلمون في عصرنا هذا بين غايتين كلتاهما باطلٌ محض، أحدهما التقليد الأعمى والإتباع الذليل، ففعلهم كفعل الصوفية وأنْ ادعوا السنيّة[18]. والآخر هو الإنفلات التام من قيود الإتّباع، وإدعاء العلم مع قصورهم عنه قصوراً كلياً، والإفتاء برأيهم وهم من جهلة الناس وعوامهم[19]. وهذه الفوضى العلمية قد تسببت فيها عوامل عدة ليس هنا موضع الإستطراد فيها. وقد كتبنا فيها بعض المقالات على صفحات موقعنا فليرجع اليها من شاء.

- أن تكون العلوم الإنسانية، وخاصة الإدارية والإجتماعية والتاريخية هي الأساس الأصيل في حصيلة القادة، إذ إنّ دورهم، كما نتصوّره، هو التوجيه والتأثير، لا الإفتاء والتنظير، وذا يتأتي من العلم بالتاريخ والسير والأصول النفسية والسيكلوجية للأفراد والجماعات.

- أن يتمتع القادة بقدر مناسبٍ من العلم الشرعي، وإن لم يَستلزم ذلك أن يكون متخصّصاً فيه، لِما أشرنا اليه من فرقٍ بين العالم والقائد. فعلى سبيل المثال، يجب أن يكون دارساً للعقيدة عارفاً بالبدعة وحدودها، حتى لا يقع وأتباعه فيها، إن لم يتمكّن من الرجوع لشيخه للسؤال، وأن يكون على معرفة بدرجات صِحة الحَديث، وأنواعه، قارئاً للسيرة النبوية الشريفة، حافظاً لأجزاءٍ من القرآن، عارفا بتفسيرها قدر الطاقة، لتكون موضع استشهاد واستدلال وقت الحاجة.

ويتبع في الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى.

الجزء الثالث عشر:

نستكمل في هذا المقال ما بدأنا سردَه من صفات القيادة المقبلة للحركة المسلمة، كما نتصورها. وهي صِفات تنقسم إلى صفاتٍ خَلقِيةٍ طَبَعيّة، وعِلمية مُكتسبة كما ذكرنا من قبل.

(18)

- أن يكون القائد من ذوى العزيمة الماضية، أبعدُ ما يكون عن التردّد في اتخاذ قراره، بعد أنْ يدرس الخِيارات المُتاحة، ويستشير ذوى الرأي في المسألة، بقدر الطاقة، فإنه من المعروف أنّ قراراً أبعد شيئا ما عن الأصوب أفضل من لا قرار البتة. والتردّد آفة قاتلة في جميع شؤون الحياة، خاصة لمن في موقعٍ قياديّ. ويجب أن نفرّق بين التردد والتثبت، فالمتردد يرى بين يديه كافة الخيارات المتاحة، لكنه، لضعفٍ نفسيّ، يتهيأ له أنّ هناك إمكانية أخرى لم يمكنه أن يضع يده عليها بعد، ولا تزال في دائرة الممكن المتاح، فلا يتخذ قراره. والمتثبت ينظر فيما بين يديه من خيارات ممكنة متاحة، ثم يتخذ قراره بعد التثبت منها، دون تلكؤ أو تردد.

- أن يكون ممن يتقن العربية، إذ إنها من الأمور الفارقة في التوجيه والتأثير. والعامية لا تؤدى التأثير المطلوب، كما إنها تهبط بمستوى التواصل إلى أدنى مما يجب أن يكون عليه، وتقطع العامة عن مصادر القراءة في كتب السنة والفقه والتاريخ. والأصل أن يرتفع القائد بمن حوله فكراً ولغة لا أن يهبطوا به.

- أن يكون ممن ترقى في مستوى الإدارة والقيادة خلال فترة مناسبة من الزمن، لا أن يكون ممن فُرِضَ على القيادة غير مستحقٍ لها. وهذا، مرة أخرى، كان من سلبيات الإخوان الخطيرة. ويجب هنا أن يخضع القائد لدورات تدريبية مكثفة في

---

[18] راجع كتابنا "فتنة أدعياء السلفية وانحرافاتهم" http://www.tariqabdelhaleem.com/new/Artical-7

[19] ارجع إلى كتابنا السابق ذكره أعلاه في هذا الصدد.

علم القيادة، إن توفرت فيه بقية الصفات التي ذكرنا، أو جُلّها. وهي دوراتٍ يجب أن تضطلع بها الهيئة العلمية المُشرفة على الحركة.

- أن يكون في أواسط العمر، تجاوز مرحلة الشباب (تحت الثلاثين) لكن لم يطعن كثيراً في الكهولة (فوق الخمسين)، يتمتع بصحة جيدة وروح عالية.

هذا بعضٌ مما يجب أن يتوفّر في قيادة الحَركة المسلمة، خاصة في الصف الأول منها.

ثمّ يأتي شباب الصف الثاني، وهؤلاء من الأهمية بمكان، وإن لم يدرك ذلك كثيرٌ ممن عمل بالحركة الإسلامية في ماضيها القريب. ذلك أنّ أولئك هم قادة المستقبل، ويجب أن يراعي قادة الصف الأول في ذلك الصفّ ما يلي من الصفات:

- الإخلاص والعزم، والشجاعة والحسم، وصواب المنطق وصحة التصور.
- القدرة على التحصيل العلمي الشرعي بما يكفي لتوجيه من هم تحت إشرافهم.
- إحترام القيادة مع روح الإتباع لا التقليد الأعمى.
- بين مرحلة الشباب والرجولة (فوق الثلاثين ودون الخمسين).
- الإستعداد للتضحية في موضعها.

(19)

أبناء الحركة المسلمة وقاعدتُها:

وهؤلاء هم المركب الأساس والأصيل للحركة ولُحمتها، إذ لا فائدة من دعوة بلا قاعدة تحملها وتعيش بها حياتها. هذه القاعدة، من شباب وشيوخ، رجال ونساء هم موضوع الدعوة، وهم جنودها وحراسها وبنيتها الأساسية. ومن ثمّ، فإنه يجب العناية بهذه القاعدة وتحديد ما يلزم لتربيتها أولاً وقياداتها ثانياً، من خلال كافة أنواع التعليم والتوجيه بمستوياته المختلفة.

وحتى نتفاعل مع الواقع، فإن هذه القاعدة اليوم، هم أساساً تلك الطائفة التي احتفظت بإسلامها، في وجه الكفر البواح الذي اجتثّ أكثرية الشعب المصريّ، بعد أن تميز الخبيث من الطيب، والحق من الباطل، والكفر من الإسلام، على يد الملحد السيسي وأعوانه، الذين قادوا جنودهم إلى الكفر، وسحبوا من ورائهم الملايين ممن وقع في الكفر الأكبر، ولاءً ورضا بالكفر، من الطائفة التي أزلّها الشيطان السيسي وسحرته عن دينها.

الطائفة المسلمة إذن، هي التي خرجت على كفر السيسي، ونفرت من دلائل الكفر الذي صَاحب حكمه، وبرأت منه وممن اتبعه، ووالت من جاهره بالعداء، ووصمه بالكفر الذي يستحقه. وهذا لا يعنى عدم التوجه بالدعوة إلى تلك الطائفة من شعب مصر التي ردّها السيسي وسحرتها عن دينها، لكن هذا توجيه وتصحيح، وتلك دعوة للإسلام ابتداءً. ومن العبث الجمع بينهما، كما أنه من العبث التغافل عن الفرق بينهما والتعامل مع كليهما علي أساس واحد. وهو ما يقع فيه عدد من الفضلاء ممن يسير على قواعد الرحمة وينسى قواعد الحكمة، فيظن أنه أرفق بعبادِ الله من الله. إن اعتبار هذه الطائفة مسلمة، هو امتداد للنهج الإخوانيّ الذي يبتعد عن التوصيفات الشرعية باسم مصالح متوهمة، كأن يقال هذا من باب تأليف القلوب أو تقريب النفوس، وكأن التوصيف الشرعيّ فيه تنفير للقلوب وتفريق بين النفوس! إن من ادعى هذا، فقد ضلّ عن مقصود الإسلام في باب الولاء والبراء. أرأيتك إن قال أحدٌ لموسى عليه السلام: "إن قومك ما كفروا لعبادتهم العجل لأنّ السامريّ ضحك عليهم واستغفلهم!"، أو لو أن أحدا قال عمن ساروا وراء سحرة فرعون "هؤلاء لم يصلوا لأن الإعلام ضلّلهم"! كذلك لو قال أحدٌ أن هذه الطائفة خرجت عن دين الله لأنها صدّقت إعلام السيسي أو أنها كارهة للإخوان، فلا يجب وصفها بما تستحق تأليفا للقلوب. سبحانك، هذا وهمٌ عظيمٌ يجب أن يرتدع عنه الدعاة، قبل أن نتجرّع أخطاءنا من جديد. فتأليف قلوب هذه الطائفة مطلوبٌ بلا شك، لكن ليس على حساب تشويه عقيدة الولاء

والبراء أو الإلتواء في تطبيقها. قد يكون تصديق إعلام السحرة أو كره الإخوان سبباً في هذا الكفر، لكنه ليس مبرراً له على وجه القطع.

لقد نَفَضَ موسى عليه السلام يديه ممن استمع لسحرة فرعون قبل ايمانهم، كما أنه استمر في هداية قومه في الصحراء، بعدما كفروا مرة بعد مرة فقال لهم "إنكم قوم تجهلون"، وهو كفر جهل[20] بلا خلاف بين المفسرين.

لكنّ هذه القاعدة الجماهيرية، على ما فيها من فطرة سليمة وتوجّه سديد، لديها الكثير من الإنحراف في التصوّر، والخطأ في الفهم، من الناحية الواقعية أو العقدية. ثم إن هذه القاعدة تحتاج إلى من ينسق حركتها ويلم شَمل قوتها، ويدفعها في طريقٍ واحدٍ إلى هدفٍ واحدٍ، واضحٍ محددٍ، لا عوج فيه ولا أمت.

ومن هنا، فسنفصّل القول في منهج التوجيه والإصلاح والإعداد للطائفة المسلمة، ومنهج الدعوة إلى من هم من الطائفة التي أزلّها الشيطان السيسي وسحرته عن دينها.

الجزء الرابع عشر:

انتهينا إلى القول في منهج التوجيه والإصلاح والإعداد للطائفة المسلمة، ومنهج الدعوة لمن هم من الطائفة التي أزَلّها الشيطان السيسي وسَحرته عن دينها. وقد بنينا هذا التقسيم على الحال الحاضر، شَرعاً وواقعاً، من حيث انقسام الشعب إلى هاتين الطائفتين، ووجوب التمييز بينهما في طُرق المعاملة وفي سبل الدعوة.

(20)

التوجيه والإصلاح والإعداد للطائفة المسلمة:

من المهم الرئيس أن يقرر القائمون على منهج الإصلاح والتوجيه والإعداد معالم هذا المنهج وأهدافه وحدوده ومن ثمّ ترتيب أوْلياته وتفاصيله ودرجاته. ثم عليهم أن يدركوا طبيعة الفئة التي يتعاملون معها لممارسة هذا التوجيه والإصلاح، وطرق الإعداد.

أولاً: الفئة المسلمة:

تمخضت الأحداث التي جرت في مصر مؤخراً عن تميّزٍ واضحٍ بيّنٍ فئات الشعب كما ذكرنا. والفئة المسلمة هي، وياللحسرة، الأقلية في هذا الشعب.

لكن الميّزة الكبرى في هذه الفئة اليوم هي ازدياد الوعي بالإسلام ومعناه وحدوده، وعمق الفهم للقوى المحاربة له، بعد أن واجهوها عياناً. فأين هؤلاء من شعب 1952، أيام استغفلهم عبد الناصر وركب موجة الإخوان ثم ضرب البلاد كلها بدكتاتورية عسكرية فاشية ملحدة، أنتجت هزيمة العرب أجمع، وخلّفت أمثال السيسي ليكون أنتن خَلفٍ لأنجس سَلف.

ويمكن النظر في الطائفة المسلمة اليوم من عدة نواح، ديموجرافية، واجتماعية، وتعليمية، إلى جانب الخلفية الإسلامية. فهم ينقسمون ديموجرافيا إلى كافة فئات الأعمار، وينتمون اجتماعياً في غالبهم إلى الفئة المتوسطة التي هي إلى الفقر أقرب منها إلى التوسط الماديّ، كما تغلب عليهم الأمية، ومنهم التعليم المتوسط، وإن كانت منهم كذلك فئة جامعية قليلة محدودة.

أما عن الخلفية الإسلامية، فهم في غالب أمرهم ممن يحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فطرة، تبعاً للنشأة المسلمة في مجتمعاتنا الشرقية، على بساطة تامة وسطحية مطلقة في فهم الإسلام والتوحيد، وعلى قدر في غاية الضآلة من التحصيل الشرعي بين

---

[20] راجع حكم عارض الجهل في كتابنا :الجواب المفيد" http://www.tariqabdelhaleem.com/new/Artical-17

الغالبية المطلقة منهم، سواء أميين أو متعلمين. كذلك، فإن نسبة ضئيلة منهم تنتمى إلى جماعاتٍ "إسلامية" على رأسها الإخوان، وقليل من الضئيل إلى الجماعة الإسلامية. ثم بعض منهم ينتمى إلى الفكر السُنيّ السلفيّ، وهم أقل القليل النادر. أما أتباع حركات السلفية الأمنية من صنائع أمن الدولة، فهم العدو، فاحذرهم.

هذا التصنيف، وإن كان محتاجاً إلى دعمٍ إحصائيّ، في غاية الأهمية، إذ يمكن من خلاله التمييز بين مستويات الخطاب الإصلاحيّ الذي يجب توجيهه إلى هذه الفئة بنوعياتها المختلفة، وإن كان النقاط الرئيسة فيه ثابتة لا تتغير، نجملها، أو أكثرها، فيما يلي:

1) بيان التوحيد، في الحكم والتشريع، والولاء والبراء، والنسك والشعائر، وشرح مقتضياته وتفصيل القدر الواجب منه للحكم بالإسلام، مع التركيز على الأدلة القرآنية والحديثية في دعم هذا المفهوم.

2) بيان ما يضاد هذا التوحيد في مراتبه كلها، حكماً وولاءً ونُسكاً، والقدر الذي يخرج بالمرء عن الإسلام منه، مع التركيز على الأدلة القرآنية والحديثية في دعم هذا المفهوم.

3) بيان مدلول الشهادتين، ومعناهما ومقتضاهما من طاعة الله والعمل بشريعته والقيام بشعائره.

4) بيان العلاقة بين أحكام التوحيد وبين أركان الإسلام الخمسة، وموقع الشهادتين من ذلك.

5) بيان الواجبات الشرعية التي أوجبها الله على عباده، من صلاة وصومٍ، وزكاة وحجٍ، وما حرّمه عليهم من المحرمات كالرِبا والزنى والفسوق والمعاصى والبدع، مع توضيح الدرجات الخمس للحكم الشرعيّ.

6) بيان مقاصد وضع الشريعة للعباد، وهي حفظ الضرورات الخمس، الدين والنفس والعقل والمال والنسب، ومبادئها من إقامة العدل والإحسان والحرية والكرامة والمساواة، من المنطلق التوحيديّ الإسلاميّ، لا الإنسانيّ العلمانيّ[21].

7) بيان موقع الجهاد وأهميته ودوره في حياة الأمم وبناء الحضارات وزوالها، مع بيان المفارقة بين هذا المفهوم وما ورثته أجيال عصرنا من خوفٍ ورهبة منه، وما تحاوله أجهزة الكفر بالداخل والخارج من تدجين المسلمين ووصم الجهاد بالإرهاب. مع دعم ذلك بأمثلة من سنة رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، وتاريخ الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم، وبالأمثلة التاريخية في التاريخ المُدوّن، كأمم الفرس والروم واليونان وأمة الإسلام، وأمة يهودٍ والصليبيين حتى عصرنا هذا، وبالأمثلة المعاصرة في صراع الإسلام الحاضر مع قوى الكفر والعدوان، وبيان مواضع هذا الجهاد ومحله وشرح معني دفع الصائل، وتفصيل دور الأسر في ذرع هذا المفهوم لدى الأجيال القادمة.

8) بيان أحكام "التكفير" وبيان أنها حكم شرعيّ، مثله مثل أحكام الطهارة والنكاح والمواريث، مع الرد على شبهات المرجئة والمنافقين من تحريم ذلك وإنكار أن المسلم ولادةً قد يرتد بقولٍ أو فعل، وبيان معنى ما يردّده هؤلاء المرجئة والمنافقين من أحاديث يُشبّهون بها على العامة. مع ضرورة تحذير العوام من إجراء مثل تلك الأحكام بأنفسهم، والرجوع فيها إلى العلماء الموثوق بعلمِهم وفَضلِهم وسُنِّيَتِهم، تماماً كما يرجعون اليهم في شؤون نكاحهم وطلاقهم وبيعهم وشرائهم، وصلاتهم وزكاتهم.

9) بيان أسباب انحدار الأمم واندثار الحضارات، سواءً منها ما هو في التاريخ المدون، أو الأمم البائدة قبل عصر تدوين التاريخ، كعادٍ وثمود وقوم نوحٍ ولوطٍ وصالح عليهم السلام.

10) بيان موضع أهل الكتاب المدنيين في الدول الغربية وضرورة قيام المسلمين المقيمين بها بالدعوة بالحسنى في تلك الديار، وبيان دور الرأي العام بين أبناء تلك الدول في توجيه حكوماتهم، بغرض تخفيف الضغط على المسلمين، لا تحسين

---

[21] وهذا بالطبع يجب ان يكون مفصلاً على مستويات الفهم المختلفة، مع استخدام الألفاظ المناسبة لعقلية المُخَاطَب، حتى لا تكون كالمعميات، وتؤدى إلى التنفير.

وضعهم أو رفع شانهم، فإن تلك الحكومات لن تراعي في المسلمين إلاّ ولا ذمة، فهي عدو مريد لهم، وإنما تراعى الرأي العام الداخليّ إلى حدٍ ما.

11) بيان دور التربية وأهمية التعليم والصلة بينهما. فالتربية تدور حول توجيه الأخلاق والتصرفات، والتعليم يدور حول إنشاء المفاهيم والتصورات. ولا غنى لأحدهما عن الآخر، فتعليم بلا تربية نفاق، وتربية بلا تعليم جهل وضلال.

12) بيان التصور الإسلاميّ في القضايا الإجتماعية والإقتصادية والسياسية الكبرى خاصة ما اختص به عصرنا، كالمرأة والبنوك والبرلمانات والإنتخابات، مع ربطها وبيان علاقتها بالتوحيد.

13) تصحيح مفاهيم خربها الإعلام، وأعان على تخريبها "المفكرون الإسلاميون"، كالمواطنة والحداثة والتجديد والوسطية، مع دعم ذلك بالأدلة القرآنية والحديثية.

وبطبيعة الحال، فإن بيان تلك النقاط التي ذكرنا يجب أن يكون مدوناً على عدة مستوياتٍ للفهم والإستيعاب، مع مراعاة ما أشرنا اليه من مركبات الطائفة المسلمة التي يتوجه لها الخطاب. فخطاب الجامعيّ غير خطاب الأميّ على سبيل المثال، وإن كان مستوى الذكاء والقدرة على الإستيعاب لا يتناسب طردياً مع درجة التعليم الرسميّ، فقد رأينا آلافاً من أساتذة وقضاة ومحامين ومهندسين وأطباء ممن دعم الملحد السيسي وفوّضه في قتل المسلمين. والقاعدة أن المَرء غيرُ قادرٍ على أن يدرك سقف فهمه وذكائه، فهو واجبُ المُخاطِبِ أن يحدد قدر المُخاطَبْ وقدرته على الإستيعاب، وأن يحدد على أساسها الجرعة الدعوية وأسلوبها.

وعلى طبقة العلماء والمنظّرين أن يقوموا بهذا الدور التدوينيّ، في صورته الكلية على أقل تقديرٍ، وأن يراعوا فيه وحدة التوجّه، حتى لا يجد العامة أنفسهم أمام تصوراتٍ مختلفة ومفاهيم مشتتة متضاربة، وهو ما نراه ماثلاً أمام أعيننا في واقعنا المسلم اليوم. فترى "عالماً" يحث على الجهاد، وآخر يحذر من تبعاته، وترى، من ثمّ، جماعة تدعو للجهاد، حسب ما تسميه جهاداً، وجماعة تدعو إلى السلمية ونبذ الجهاد وتسميه "العنف". هذا التشتت والتخبط هو سبب فرقة المسلمين، حتى بين أبناء الطائفة الواعية منهم، فاختلاف المفاهيم والتصورات ينشأ عنه تلقائياً التضارب في الأعمال والتصرفات، ومن ثم التنابذ والتفرق.

وإلى الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى

الجزء الخامس عشر:

خلصنا في المقال السابق إلى أنه "على طبقة العلماء والمنظّرين أن يقوموا بهذا الدور التدوينيّ، في صورته الكلية على أقل تقديرٍ، وأن يراعوا فيه وحدة التوجّه، حتى لا يجد العامة أنفسهم أمام تصوراتٍ مختلفة ومفاهيم مشتتة متضاربة، وهو ما نراه ماثلاً أمام أعيننا في واقعنا المسلم اليوم. فترى "عالماً" يحث على الجهاد، وآخر يحذر من تبعاته، وترى، من ثمّ، جماعة تدعو للجهاد، حسب ما تسميه جهاداً، وجماعة تدعو إلى السلمية ونبذ الجهاد وتسميه "العنف".

(21)

ومن المهم هنا أن نؤكد على أمرٍ قد يفوت البعض، وهو أنّ الوقت الحاضر والواقع الحاليّ لا يسمح بأن يكون هناك حركة مقاومة مسلحة آنية، لأن هذا من غير المقدور عليه. إذ إنه لا عتاد ولا عدة متوفرة لدى الشباب، كما أنّ الشباب في مصر غير مدربٍ على المواجهات المسلحة، بينما العدو مدرب ومسلح أفضل تسليح. والأهم من ذلك أنّ عقيدة المواجهة المسلحة قد مسختها ممارسات الإخوان في عقول شبابهم، بل وعامة الشعب المسلم، على مدى العقود الثلاثة الأخيرة، بعد أن انحرف بهم الهوى والتخبط العقديّ إلى انتهاج السلمية النابعة من الديموقراطية الزائفة التي اختاروها نهجاً بديلاً عن النهج الإلهي المتمثل في مواجهة الشرك حين القدرة، وعدم مشاركته حين تخلف القدرة.

الأمر إذن يكمن أولاً في اتخاذ الخطوة الأولى، ونراها الأصعب والأخطر، وهي اجتماع العلماء والمنظرين على خطة يمكن من خلالها توجيه الخطاب الشرعيّ بشكله السنيّ المتكامل، دون مداورة أو مناورة أو تفاوضية، فإنه والله ما قتلنا إلا المناورة والمداورة. وقد يستلزم هذا أن تكون جبهة العلماء غير معلنة أولاً، وأن يكون مقرها خارج مصر، حتى لا تتعرض للإجهاض في بداية عملها.

ثم بعذ أن تتحرك هذه الجبهة فكرياً سواء في مواقعها الخاصة أو في إعلامٍ مخصص لهذا العمل، وتعلن عن أنّ الخيار البديل الأوحد هو بدء تكوين جيلٍ يؤمن بالنهج السنيّ الإلهي في التغيير، وينبذ الفكر الإرجائي الإخوانيّ البدعيّ، وتؤسس الخلفية الشرعية لهذا النهج في زمننا الحاضر، وتخرج دروسها ودوراتها وكتيباتها لنشر هذا التوجه، يبدأ ساعتها العمل على الأرض لتكوين كتائب سنية عاملة. وساعتها يكون البحث عن مصادر العدة والتمويل.

آنذاك يبدأ دور الطبقة الثانية من تلك الكبقات التي تحدثنا عنها، وهي طبقة القادة الميدانيين، ودور تجنيد الشباب المسلم وعمل شبكة يتناسق عملها ويتكامل مع جبهة العلماء والمنظرين. ثم تتحرك العجلة إلى مصادر الإعلام وغير ذلك مما ذكرنا.

أعرف أن ذلك تصور على الورق في الوقت الحاليّ. ولكنه الممكن المتاح اليوم في ضوء الإمكانات التي نراها بين يدي طائفة الشعب المسلم، والله سبحانه لا يكلف نفساً إلا وسعها. وما نحتاجه اليوم هو العزيمة الماضية التي تقهر شعور الإحباط الذي يتولد من العجز الآنيّ، والذي هو شعور طبعيّ، يري بالمرء في حصيص اللامبالاة وترك العمل، لعدم رؤية النتيجة على امتداد البصر.

هنا يأتي دور **الإيمان**

- الإيمان بأن وعد الله حقٌ لا ريب فيه.
- الإيمان بأن نصر الله قريب من المحسنين، قولاً وعملاً وتطبيقاً.
- وأن النصر يأتي مع الصبر.
- وأنّ الله لن يغيّر ما بنا حتى نغير ما بأنفسنا.
- وأنه لا نتيجة إلا بعمل، فإن تخلفت النتيجة فذلك إما لأنه لا عمل، أو لأن العمل يسير في إتجاه خاطئ، ولا ثالث لهذين.
- وأن الجهاد في مصر لدفع الصائل المستبد الظالم الغاشم طريق أوحدٌ لا بديل عنه بتلك الديموقراطيات الواهمة التي أوجدها الغرب الصهيو-صليبي ليضحك بها على شعوبه، ويسيطر به على شعوبنا.
- وأنّ الله حرم قتل النفس إلا بالحق، وهو في موضع الجهاد/ ومن ثمّ فإن التظاهرات هي وسيلة مؤقتة لإزعاج السلطة الغاشمة الملحدة، على شريطة أن تكون هناك حماية مسلحة لها، وإلا فهي شرٌ محضٌ لا فائدة منه.

هذا هو مقتضى إيماننا، بالله وبالرسول وبمنهج الإسلام.

علينا أن نعزم على الخطوة الأولى، وإلا فسنحير في مكاننا، وندور في دوائر مفرغة، تظاهر، قتلى، ظهور دولة السيسي الملحد، تظاهر قتلي، استمرار للكفر والعهر وتعاظم دولة يسرا وإلهام شاهين. إن من يعتقد أنّ هذه التظاهرات تفتّ في عضد هذه العصابة المجرمة، واهم وهماً قاتلاً، يصل إلى حد الغباء المفرط، كما عرفنا عن الإخوان سابقاً.

ثم إلى المقال القادم إن شاء الله

الجزء السادس عشر:

انتهيت في المرة السابقة إلى أنه "علينا أن نعزم على الخطوة الأولى، وإلا فسنحير في مكاننا، وندور في دوائر مفرغة، تظاهر، قتلى، ظهور دولة السيسي الملحد، تظاهر قتلي، استمرار للكفر والعهر وتعاظم دولة يسرا وإلهام شاهين. إن من يعتقد أنّ هذه التظاهرات تفتّ في عضد هذه العصابة المجرمة، واهم وهماً قاتلاً، يصل إلى حد الغباء المفرط، كما عرفنا عن الإخوان سابقاً".

أود بداية أن أبيّن نقطة هامة، نقلها لي أحد الأخوة القراء، قال إنني كنت أدعو منذ أسابيع إلى المقاومة المسلحة وإلى القتال والضرب والعنف، بينما الآن أدعو إلى بناء قاعدة أولاً وعدم اللجوء للسلاح حالياً. وقد شكرت الأخ الكريم إذ بيّن لي ما عجزت أنّ أبينه مما قد يشتبه على القراء، في بعض المواضع، وهي طبيعة الكتابة البشرية، الإشتباه في المعنى.

إن راجع القارئ المدقق كل ما كتبت منذ بداية النكسة الكفرية في مصر، وجد أنني كنت، ولا زلت أدعو إلى المقاومة "المسلحة"، بمعنى أنه لا يجوز الخروج في تلك التظاهرات، كاشفي الصدر، دون تسليح، تحت شعار السلمية الواهم، إذ يجب، وأكرر، يجب على من أراد الخروج أن يعد له عدته. أما هذا الإنتحار الجماعي المسمى "بالسلمية"، فهو لا يجوز على وجه الإطلاق. إذن، فقد قلت ولا أزال، إن خرجتم فاخرجوا مسلحين بأيّ شئ كان وأي شكلٍ كان، فإنه حينذاك، تكون الفرصة 50% سانحة للنكاية في العدو، أمّا إن خرجتم كاشفي الصدر دون تسليح، تحت شعار السلمية الواهم، فإن الفرصة صفر مربع منذ أول لحظة! والله سبحانه يقول "يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ" التوبة 111، فلاحظ حبيبنا القارئ، أنهم يَقْتُلُونَ، كذلك يُقْتَلُونَ، لا أنهم يُقْتَلُونَ فقط لا غير. أن تتخذ جماعة من البشر المسلم السلمية هذه مبدأً تتحرك به في مواجهة العدو الكافر، هو إثم عظيم وجرم مبين، لا مُسوّغ له شرعاً إلا ضعف الإرادة أو قلة العلم، أو كلاهما.

فنحن إذا لم نغير ما قلنا، بل نحن، في هذه السلسلة نؤسس للحركة المُسلمة التي يمكن أن يأتي التغيير علي يديها، وهي حركة يجب أن تؤسس على الفكر السنيّ الشرعيّ البحت، بلا شوائب بدعية أو شواغب إرجائية، وتقدم الإسلام للناس كاملاً غير منقوص أو مختصر مبتسر، وتضع الجهاد في سبيل دفع الصائل في مصر، أو غيرها من بلاد المسلمين، على رأس خطتها المنهجية، بعد أن أزاحته القوى الإخوانية لعقود عدة.

(22)

الطائفة المفتونة عن دينها:

وحين أتحدث عن هذه الطائفة، فإننى أعنى تلك الفئة التي دعمت وفوضت وباركت حكم السيسي العسكريّ الملحد في 30 يونيو الماضي، وفي المجازر التي اقترفها في حق الطائفة المسلمة. وهي تتكون من ذلك الخليط النكد:

فئة علمانية بحتة، لا تومن بأديان إبتداءً، وهي غالباً من الإعلاميين الفجرة، والممثلين العهرة، وكثير من "رجال الإعمال" السارقين، وغالب السيساسيين وكثير من القضاة، وعدد من المتعلمين، ولا أقول المثقفين، ممن اتخذ الكفر بالإسلام ديناً، من أكباء ومهندسين وغير ذلك من المهن، وعدد من "رجال الدين" القطاع العام، كبابا الآزهر وعاهر الإفتاء وملحد الأوقاف الحاليّ وأضرابهم.

فئة منافقة مثل مشايخ القطاع الخاص، كالعاهر البرهاميّ ومحمد حسان وعلى جمعة، وأضرابهم، وعدد كبير من القضاة وأصحاب المناصب الحكومية المتنفذه، كوكلاء الوزارت ورءساء الهيئات. كذلك كثير غالبٌ من أصحاب الوظتئف الحكومية

فئة من عامة الناس، ممن لا عقل له، وممن فَسَدت فطرته ابتداءً، استمعوا إلى إعلام الإجرام والكفر، وأصغوا له وأنصتوا، فلم يكن لديهم أصلاً رصيد من القدرة على التفكير البسيط أو المنطق السديد، فاتبعوا كبراءهم وسادتهم، وساروا وراء فراعينهم، ورددوا أكاذيب سحرتهم.[22]

وهذه الفئات الثلاثة، كلها مرتدة عن دين الله. وقد لا يجادلنا في الفئتين الأولتين كثير من الناس، لكن الفئة الثالثة هي التي يقع كثيرٌ من المسلمين، بل من الدعاة، بل من بعض أفاضلهم، في خطأ توصيفهم الشرعيّ، إذ يحكم هؤلاء بالشبه لا بالشرع، فهم يرونهم جهلة مساكين، اغتروا بسحر الإعلام، ومنهم من يصلى ويصوم، ويقرأ القرآن، ومنهن من ترتدى الحجاب وتقيم الصلاة.

---

[22] استمعت اليوم لأحد هؤلاء، امرأة اسمها رحاب، التقت به الجزيرة في مكة، وكلب الحديث مع ابنته، هذه الرحاب، فهاجمت الجزيرة على أنها تقدم كذباً وأنها تريد بمصر شراً، وأن الوضع الحالي في مصر هو من جراء نقل الجزيرة لأخبار مصطنعة!

هذا موضع يظهر فيه الفرقُ بين حكم العاميّ وحكم العالم، وبين الحكم بظاهر الرأي والهوى وبين الحكم بأدلة الشرع ومقتضياته وقواعده.

لقد قص الله علينا قصة موسى عليه السلام مع أهل مصر، وبين أن هناك من صدقه واتبعه في رحلة الخروج إلى سيناء وهم بنو إسرائيل ممن دخلوا مصر في عهد يوسف عليه السلام، وذرية الأسباط،، ومنهم بقية أهل مصر ممن لم يصدق بموسى عليه السلام، واتبع سحرة فرعون. كان من هؤلاء المصريين ملأ فرعون، أي سادة القوم وكبراءهم، ثم كان غالب البقية من عوام الناس والدهماء، ممن استمع للسحر وجَيَّش منهم فرعون جيشه وحشد جنده. فجند فرعون لم يكونوا بلا أهلٍ أو أقارب يعملون ويتحركون في جنبات مصر للرزق والسعي في الحياة، تماما كجند السيسي اليوم، لهم أهل وأقارب يتحركون في جنبات مصر للرزق والسعي في الحياة. كما كان هناك عامة ليسوا من أهل الجند، لكنهم تابعوا فرعون وصدّقوا قوله أنه مرشد أمين "قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ" غافر29، كما يقول السيسي اليوم لأتباعه "وبكره تشوفوا مصر!!). فمع أنّ هؤلاء المصريين كانوا من العامة والدهماء فإنهم كفروا بالله ورسوله موسى، فإن الله قد حكم بكفر فرعون وجنده "إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ" القصص 8، لكنه حطم كذلك بكفر بقية أهل مصر ممن لن يتبع موسى، كلهم أجمعين، وهم من سماهم "قوم فرعون" و"آل فرعون" وهم أكثر من جنده وملأه وآلته العسكرية، قال تعالى "كَدَأْبِ **ءَالِ** فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ" آل عمران 11، "بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ **وَمَلَإِيْهِۦ** فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ" الأعراف 103، "وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ **قَوْمَهُۥ** وَمَا هَدَىٰ" طه 79. فالآل والملأ والقوم، كلّ له دوره في آلة الكفر الفرعونية، القديمة والحديثة.

هذه الطائفة المرتدة المفتونة عن دينها إذن هي "قوم السيسي"، والمجلس العسكريّ والوزراء والكبراء والسياسيون هم "ملأ السيسي" و"آل السيسي"، والإعلاميون والفنانون و"المبدعون" هم "سحرة السيسي". هكذا يجب أن يُقرأ القرآن، وأن تستلهم آياته، وإلا كان قوله تعالى "لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ"يوسف 111، إما ليس بعبرة تعبر بها العقول من مشهدٍ إلى مشهد، وهذا تكذيبٌ لله سبحانه، أو أننا لسنا من ذوى الألباب الذي يستطيعون قراءة هذه العبرة والإستفادة منها.

ثم يأتي القائل: لكن قوم فرعون "كذبوا بأيات الله ولم يتبعوا رسوله موسى"، فنقول نعم، لكن التكذيب هو صورة واحدة من آلاف من صور الكفر، فكيف عن كفر الإعراض بلا تكذيب[23]؟ وكيف بكفر الجهل[24]؟ وكيف بكفر العناد والإستكبار مع العلم والتصديق؟ ولست بصدد شرح هذه الأنواع من الكفر، فقد تناولناها في عدد من كتبنا بالتفصيل والتحليل، كما تناولها غيرنا من أفاضل العلماء، بارك الله في عملهم، قديماً وحديثاً هذا الأمر، فليرجع اليه من شاء.

ثم، إن الأمر يتعلق، أصولياً، بشكل الفعل ونية الفاعل، وهي نقطة قد تناولناها في شرحنا لكتاب الموافقات، وتناولناها في كتابنا "مفتاح الدخول إلى علم الأصول" كما بينها كثيرٌ من العلماء، منهم الشيخ الجليل العلامة عبد المجيد الشاذلي رحمه الله تعالى. ذلك أنّ الفعل حين يقع من إمرء، فإنه يقع بلا تكييف شرعيّ ابتداءً حتى يصاحبه ثلاثة أمور، أولها النية، وثانيها إرادة الفعل بذاته، وثالثها الحكم الشرعي للفعل. ومثال ذلك أنه إن مزق أحدٌ كتاب الله، فحتى يحكم بكفره يجب أن تكون نية الفاعل تمزيق كتاب الله، فهو حين مزقه يعرف أنه كتاب الله، ولم يظنه كتاب عادي. ثم أن يكون مريداً لهذا الفعل بذاته، أي أنه أراد تمزيق هذا الكتاب بالذات، ولم يرد أن يحمله من مكان إلى آخر على سبيل المثال، ثم أن يكون الفعل في ذاته فعل كفرٍ لا فعل معصية، وتمزيق المصحف، عالماً بأنه مُصحف ومريداً للفعل، هو كفر يكفر فاعله بلا خلاف. وقس على ذلك كافة أعمال الكفر[25].

فإذا نظرنا إلى هذه الطائفة، وجدنا أنها قد والت الكفار، وعادت المسلمين، مريدة لذلك عالمة بأنّ هذه الطغمة الملحدة التي يوالونها يرفضون الحكم بالشرع، ويقتلون "الإخوان المسلمين" و"المتطرفين"، الذين يريدون حكم الشرع "المتطرف"، ونيتهم

---

[23] راجع كتابنا "فتح المنان في بيان حقيقة الإيمان"

[24] راجع كتابنا "الجواب المفيد في حكم جاهل التوحيد"

[25] راجع في ذلك بالتفصيل كتاب شيخ الإسلام بن تيمية "الصارم المسلول على شاتم الرسول". يقول شيخ الإسلام نصاً "فبالجملة، من قال أو فعل ما هو كفر، كفر بذلك، وإن لم يكن يقصد أن يكون كافراً، فإنه لا يقصد أحدٌ الكفر إلا ما شاء الله".

مجتمعة على ذلك، يضاهئون قول الذين كفروا من الإعلاميين. وولاء الكفار، العاملين على إزالة شرع الله، في موضع القتال ضد المسلمين كفرٌ أكبرٌ لا خلاف عليه. وقد بيّنا أن قوم فرعون، من عوام المصريين كانوا يعتقدون أنّ فرعون يريد لهم الرشاد والسداد، وهل يظن أحدٌ أن فرعون قد كان يعلن أنه كافرً، يقول الله تعالى في تخاصِم أهل النار "وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ" سبأ 33. إذن هو مكر الليل والنهار من الذين أتُبِعوا، وهو الإتباع والولاء والتصديق من الذين أتبَعوا. هي إذن برامج باسم يوسف وابراهيم عيسى وتوفيق عكاشة وعمرو أديب ولميس الحريري وأفلام يسرا وإلهام شاهين وخالد يوسف، مكر الليل والنهار، وإذن تتبع هذه الطائفة المفتونة عن دينها هؤلاء، والسيسي، في معاندة الله، عالمة بأن هذا الإتباع والتفويض يزيح شرع الله عن الحكم، وهم قاصدين للتفويض والدعم لا لغيره، كارهين للمسلمين الذين يخرجون دفاعاً عن الدين والشرع، متهمين لهم أنهم يريدون "خَراب البلد" وأن السيسي يريد بالبلد "الرشاد".

كيف نتعامل إذن مع هذه الطائفة المارقة عن دين الله بكافة فئاتها الثلاثة؟

نكمل في المقال التالي إن شاء الله.

الجزء السابع عشر:

وصلنا إلى القول بأنه "إذا نظرنا إلى هذه الطائفة، وجدنا أنها قد والت الكفار، وعادت المسلمين، مريدة لذلك، عالمة بأنّ هذه الطغمة الملحدة التي يوالونها يرفضون الحكم بالشرع، ويقتلون "الإخوان المسلمين" و"المتطرفين"، الذين يريدون حكم الشرع "المتطرف"، ونيتهم مجتمعة على ذلك، يضاهئون قول الذين كفروا من الإعلاميين. وولاء الكفار، العاملين على إزالة شرع الله، في موضع القتال ضد المسلمين، كفرٌ أكبرٌ لا خلاف عليه".

وما يحضرنا هنا، قبل أن نتناول كيفية التعامل مع الطائفة المرتدة من أهل مصر، بفئاتها الثلاثة، أن نزيل هذا الوهم البارد الذي تتفوه به بعض العوام، بل وبعض أشباه الدعاة، من التعلق بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه مالك "من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما". وهو حديث صحيح، لكنه، كعادة أهل البدع، محمول على غير معناه، ومُستعملٌ في غير مساقه. فإن هذا الحديث يتحدث عمن يكفّر من عمل ذنباً أو فسقاً، ويمنع من إطلاق الكفر أو الشرك عليه، كما روى الحافظ بن عبد البر في التمهيد. لمنّ منطزق الحديث لا يمنع إطلاق الكفر على كلّ أحدٍ أيّاً كان، أو لأي عمل عمله، فقد بيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ أحد الطرفين يكون كافراً بهذا الإطلاق، لكنه لم يقل "لا تطلق على أحدٍ لفظ الكفر بأيّ شكلٍ ولأي سبب"، وهذا أمرٌ واضح صريحٌ في كلمات الحديث، وفي المنطق الصحيح، وفي أصول الفهم والنظر، فإنه بهذا يناقض معنى الردة ويمنع وقوعها بإطلاق، ويجعل حدّها نظرياً لا معنى له. إنا المقصود هو أن يتثبت القائل من قوله، بأن يكون عالماً متمكناً مما يقول، له عليه أدلة ينافح بها عن قوله أمام الناس، وأمام الله سبحانه.

(23)

أما عن معاملة هذه الطائفة، فهي تختلف بإختلاف فئاتها التي ذكرنا.

فالفئة الأولى والثانية، من كفار الإعلام والسياسيين وقادة الجيوش وضباط الجيش والشرطة والقضاة ومشايخ السلطان، من رفض حكم الله، ودعم وفوّض من رفضه، وولغ في دماء المسلمين، فهؤلاء يجب التعامل معهم كما تعامل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن خطل ومقيس بن صبابة وعبد الله بن سعد بن أبي السرح، كما في حديث النسائي، ننظر من يكفينا أذاهم.

أما الفئة الثالثة، وهي التي يجب أن يكون المسلم الداعية حصيفاً في النتعامل معها، فقد تختلف طرق دعوة هذه الطائفة من داعية إلى آخر حسب طريقته، لكن ما يجب أن يكون ثابتا لا خلاف عليه:

- عدم التنازل عن الثوابت، أو الإلتواء في البيان، بحجة الدعوة والتقريب والتأليف والترغيب. فإن كل هذه الأمور، وإن صحت في مواضعها، لا تبدّل حكماً شرعياً أبداً.

- البدء بالمقاطعة وبيان سببها بوضوح، سواءً للأهل أو الأقارب أو الأصدقاء، مهما كانت مودتهم للمسلم.
- التقرب فقط ممن يرى المسلم أن فيه أو فيها بقية فطرة قد تتقبل الإسلام، وتتفهم مقتضياته ولوازمه.
- عدم قبول الحلول الوسط أو المواقف المتميّعة، فمن مثل هذه الميوعة أُصبنا في ديننا واستبيحت دماؤنا وأعراضنا.
- شرح معاني التوحيد ابتداءً، لا مجرد تصحيح مواقف سياسية أو آراءٍ إجتماعية، فإن ما بُنيَ على باطل، لن يثمر إلا باطلاً.

ولتستحضر دائماً أيها المسلم قول الله تعالى "قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ"التوبة 24، فهي آيات رادعات لمن يتحجج بصلة الرحم، والشفقة على الأخوة والأهل، وسائر تلك الحجج الباطلة في هذه الموضع.

نعلم أنّ الأمر صعبٌ على النفس، شاقٌ على القلب، مؤرقٌ للضمير، لكنه تكليفٌ من الله سبحانه، والتكليف يحمل معنى المشقة في طياته أيّا كان. وهو مقتضى التوحيد، ومناط محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وتقديمها على محبة الناس، أيّا كان هؤلاء الناس.

إن من يقول بأن هذه دعوة لتفريق الشمل وتقطيع أواصر المودة وشق الصف، هو إما واهم جاهل، أو عميلٌ منافق، لا ثالث لهما. فإن الإسلام واضح صريح في قضية الولاء والبراء، وفي قضية تمييز الصفوف "مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ" آل عمران 179، وهو التمايّز في الدنيا كما سيكون تمايزا في الآخرة "وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ" يس 59. وأيّ صفٍ يتحدث عنه هؤلاء المرضى؟ كيف يتحد صفان، صفٌ يدعو إلى الله وشرعه، وصفٌ يدعم من يحاربون الله ويدعمهم ويوفوضهم لحربه؟ ثمّ أيّة مودة يحملها المسلم لمن شاقّ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ودعم وفوّض من يحاربوهما جهراً وعلناً "لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ" المجادلة 22، وليس أوضح من ذلك قولٌ في هذه المسألة.

وأسوق اليكم طريفة في التفسير تليق بهذا السياق. يقول الله سبحانه "وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ" البقرة 165. والتفسير المتداول أنّ الذين آمنوا أشدّ حباً لله من حب الكفار لأصنامهم، علَى أنّ الأنداد هم الأصنام التي كانت تتخذها كفار قريشٍ آلهةً. إلا إنه إن أمعنا النظر في معنى "الأنداد"، وجدنا أنها كلّ ما يمكن أن يقوم مقام الإلوهية في نفس العبد، سواءً كان أصناماً، أو أفراداً، أو أفكاراً، كلها سواء في "النِدّية". فهنا يكون التفسير السابق غير كافٍ لشرح الآية الكريمة، في حالة أنّ الأنداد أفراد، أو أهل وعشيرة، فإن المؤمن يحبُ أهله وعشيرته كذلك، وإذن يكون التفسير اللائق هنا أنّه مع حُبكم لأهلكم وعشيرتكم، فإنّ حبكم لله يجب أن يكونَ أشدّ من حبكم لأهلكم وعشيرتكم، خاصة منهم من خان الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهو ما يتطابق مع آية التوبة، ومع مفهوم الولاء والبراء عامة.

فاصرف وجهك أخي المسلم عن مثل الدعاوى الداهيات وأصحابها، فهي مرض للقلب، وهزيمة للنفس، وسحق للإرادة، وبعدٌ عن منهج الله سبحانه، مهما استعمل أصحابها آيات وأحاديث صُرفت عن مواضعها واستُعملت في غير محلها.

وإلى المقال التالي إن شاء الله تعالى

الجزء الثامن عشر:

توقفنا عند الحديث عن تلك الدعاوى الفارغة بشأن عدم تفريق الشمل وتقطيع أواصر المودة وشق الصف، وانتهينا إلى نتيجة أنْ " اصرف وجهك أخي المسلم عن مثل الدعاوى الداهيات وأصحابها، فهي مرض للقلب، وهزيمة للنفس، وسحق للإرادة، وبعدٌ عن منهج الله سبحانه، مهما استعمل أصحابها آيات وأحاديث صُرفت عن مواضعها واستُعملت في غير محلها".

إذن، فخلاصة القول في منهج التعامل مع تلك الفئة من الطائفة المرتدة، أن تُقاطع ابتداءً، ثم يُستأنس منها من بقيت فيه بقية من فطرة سليمة، وهو الأقل الأندر، ثم تبدأ دعوتهم للإسلام إبتداءً، من مفهوم التوحيد صاعداً، لا من تصحيح وترقيعٍ لمفاهيم سياسية أة قضايا فقهية جزئية، فالخلل في عقول هؤلاء ونفوسهم أعمق مدى أبعد غوراً من تلك الجزئيات.

(24)

الدعوة والإعلام المسلم:

وهذا البعد من الحركة المسلمة المرتقبة من أخطر جوانبها وأبعدها أثراً في نجاحها بإذن الله. إذ إن الإعلام هو عمود الفكر في أيام الناس هذه. فقد نبذ الناس القراءة وخاصموا الكتب، لضعف العقل وقلة العلم، وحلت محلهما المواد المرئية، التي تغذى العقل بما تقدم له، حقاً أو باطلاً.

وقد عرفت الصهيونية قيمة الإعلام منذ بداية القرن العشرين، فأنشأت هوليوود، لتخرب من خلالها الإخلاق والقيم المسيحية وتهدم الدين المسيحي، وتفرض السيطرة الصهيونية على العالم المسيحي الغربيّ. وقد نجحت الصهيونية في هذا الغرض نجاحاً فاق تقديرات كبار رجالاتها، رغم أنّ بعض رجال المسيحية المتدينين، مثل هنرى فورد الأب، مؤسس شركة فورد الشهيرة، الذي أخرج كتاباً هاماً عن النشاط اليهودي في أمريكا[26]، وعزا ذلك السقوط الخلقي المسيحي في الغرب إلى الجهد الصَهيوني من خلال هوليوود بالتحديد. وهو ما جعله عرضة للإغتيال عدة مراتٍ آنذاك.

وبطبيعة الحال، فإن المَطبخ الإعلامي الفاجر، الذي تتحكم فيه الصهيونية، قد انبرى، بعد أن انتهى عمله في تحطيم القيم المسيحية الغربية، والتي كانت لاتزال تتحكم في مجتمعهم حتى بداية القرن العشرين، إلى توجيه ماكينته الفاسدة الملحدة إلى العالم الإسلاميّ، وزرع بدايات ذلك من خلال بداية السينما المصرية في الثلاثينيات، والتي ساهمت بشكل شبه كليّ على تكوين عقلية ذلك الجيل الذي أشرنا اليه في مقالاتنا الأولى في هذه السلسلة، والذي "تعلمن" دون وعي منه. فصارت قضية حرية المرأة تعنى سفورها واختلاطها بلا قيود مع الرجل، وانتجت أفلاماً تُمجّد العواهر، وتحقّر من دور الزوجة وقيمة الزواج، وتضع "الحُب" خارج إطار الزواج هو الأكثر رومانتيكية، وسائر تلك المفاهيم التي أنشأت لنا أمثال نبوية موسى وسيزا نبراوى ودرية شفيق وهدى شعراوى وأمينة السعيد ثم أمثال تهاني الجبالي، تلك الرجل المتخفي في زي امرأة، وجيهان السادات، ثم سوزان مبارك! ينادون "بتَحرّر" المرأة من قيود الإسلام، ومن الحِجاب وتبنّى الأزياء الغربية والمفاهيم العلمانية في مفهوم الصداقة بين الرجل والمرأة.

ولم يقتَصر الدور الإعلامي العلمانيّ على تحطيم القيم الإسلامية، بل تحوّل إلى الأخطر من ذلك، من ترسيخ مفاهيم سياسية وفكرية، تُروّج للدكتاتورية حيناً، وللديموقراطية حيناً، وللشيوعية حينا، حسب السلطة القائمة، فأصبح الإعلام بوقاً للسلطة الحاكمة، وأصبح الإعلاميون مجموعة من المهرجين الساقطين، من عهرة النظام، يبثون خُبْثُهم وخَبَثَهم بين الناس.

وقد ظهرت آثار ذلك، كأوضح ما يكون، في مسرح الأحداث المصرية على مدار السنوات الثلاثة الأخيرة. فقد نجح الإعلام المُلحد في تبديل عقائد الناس وتغيير هويتهم بالكامل، فصار قتل المسلمين واعتقالهم وحَرقِهم وحَرق المَساجد ورَشقها بالرصاص مقبولٌ مُبررٌ، بل مُرحّبٌ به من قِبَل أكثر العامة من الطائفة المرتدة في مصر للقضاء على "الإرهابيين".

من ثم، فإنّ واجب الحركة المسلمة أن تتبنى إعلاماً سنياً صحيحاً، يقوم بما يلى:

- تقديم الإسلام صحيحا متكاملاً غير منقوص، وذلك بعرض مفهوم التوحيد بمركباته، من حكمٍ وولاء ونسكٍ وشعائر.

[26] "The International Jews" By Henry Ford, Sr. Vol. II: Jewish Activities in the United States, Publisher: Liberty Bell Publications.

- التركيز على نقاط الضعف التي استطاع أن يشوهها إعلام الكفر الملحد، سواءً في الناحية الإجتماعية مثل قضية المرأة، أو في الناحية السياسية كإيضاح ضلال مفهوم الديموقراطية الغربية، أو الناحية الفكرية الشرعية مثل إلقاء الضوء على قضية تصحيح المفاهيم بشكلٍ عام، طمفهوم التجديد والوسطية والحداثة وعيرها مما تلاعب به الإعلام، مدعوماً من ضلال "المفكرين الإسلاميين"، وما روجت له جماعة الإخوان المسلمين من ضلالات عقدية.
- الردّ على الضلالات اليومية التي ينشرها الإعلام الفاجر، سواءً إخبارياً أو شرعياً، مثل فتوى الملحد مغتى الكفر على جمعة.
- تكوين جبهة إعلامية موحدة، تتحدث بخطابٍ شرعيّ واحد، ليجتمع عليه الناس، بدلاً من النشتت وراء آلافٍ من اليوتيوب والفيديوهات التي تمثل تفرق الأمة لا اجتماعها.

وذلك الهدف عزيزٌ صعبٌ لا محالة، لكنّ العملَ على إنجازه لا بد أن يبدأ خطوة خطوة، ما استطاعت الحركة الإسلامية اليه سبيلا. وذلك عن طريق:

- إنشاء محطة تليفزيونية حسب المُمكن المَاديّ المُتاح.
- تأمين الكفاءات الشرعية والإدارية التي تضمن استمرار العمل
- رسم الخطة الدعوية، سواءً في مجال الردّ على المُضلين، أو الدعوة للإسلام والتوحيد، أو التعليق على الأحداث الجارية، أو غير ذلك من الأغراض.
- إنشاء موقع الكتروني للتواصل مع العامة.
- إنشاء صحيفة تحمل الفِكر السُنيّ الصحيح، وتكون مركزاً للتجمع السنيّ.

(25)

الإنتشار الحركيّ ومراكزه:

لاشك أن المشكلة الإسلامية هي مشكلة تتجاوز حدود القطر المصريّ إلى بقية أقطار بلاد الإسلام التي اغتُصِبت من قِبَلِ حكومات مُشركة علمانية، إمّا علانية أو تخفياً وراء ستار إسلاميّ باهت مفضوح. ومن هنا، فإن هذا الذي ذكرنا، يخرج بالتطبيق من حيز مصر إلى حيز كافة الدول العربية التي تعاني كلها نفس الأعراض والأمراض التي تعاني منها مصر. فالمسلمون في الدول العربية هم نفس التركيبة الإجتماعية والإنفلات الخلقيّ والإنحراف العقديّ التي في مصر، حذو القذة بالقذة.

ومن ثمّ، فإنّ حصر الحركة في مصر خطأ كبير لا يجب أن تقع فيه الحركة المسلمة المرتقبة. بل الواجب هو التفاعل مع سائر الحركات التي تخطو على نفس الطريق، سواءٍ منها الجهادية في سوريا أو اليمن أو العراق، أو ما تنتظر الظهير والتوجيه، كما في تونس والمغرب، أو ما ينتظر الحفز والبدء كما في دول الخليج.

لكن الأولى اليوم هو ما بدء بالفعل، كما في سوريا أو العراق. والواجب على قيادات الحركة المسلمة أن يكون اهتمامها شاملاً عاماً لكلّ الحركات التي تقاوم عدوان الباطل الملحد العسكري في بلادها الإسلامية وعل رأسها بلاد الشام خاصة.

(26) **الخاتمة**

بعد تلك الجولة التي استعرضنا فيها، باختصار، معالم المرحلة الحاضرة في صِراعِنا مع الحُكم الكافر العلمانيّ، الذي بات يسيطر على مفاصل الساحة الإسلامية كافة في كلّ بقاعها، بعد أنْ تمَكّنت قوات الغَدر والخيانة من القضاء على ما أسماه البعض "الربيع العربيّ"، فحوّلوه إلى خريفٍ تَساقَطت فيه أوراق العمل الإسلاميّ تحت وطأة جفاف الباطل الكفريّ، ورأينا مقدمات تلك الكارثة ني التاريخ القريب، وحاولنا أن نضع خريطة للعمل المسلم في المستقبل، دون أن يشتتنا الواقع في متاهات جزئياته، أو أن يجرنا التنظير وأحلام اليقظة بعيداً عنه.

ما نحاوله إذن، كما قلنا من قبل، في هذه الوثيقة، أن نؤسس لدولة مسلمة، وأمة مسلمة، تواجه طغيان الكفر العربيّ وباطله، الذي بات أوضح من أن ينكره إلا من هم على دينه وشاكلته. وأن نلفت أنظار شيوخنا الأفاضل في كلّ مكان إلى ضرورة الاجتماع على عملٍ موحّدٍ، يتبنى خطاباً شرعياً واحداً، لا تتضارب فيه الأصول ولا تتعارض فيه المبادئ ولا تتخالف فيه القواعد، فهذا شرُ ما يمكن أن يصيب العمل المسلم ويجعله مشلولاً محسورا. كما نلفت أنظار شبابن إلى أنّه لا عصمة لجماعة مهما ادعت لنفسها من فضل، وأنّ الإمتثال لقواعد الشرع وأدلذة الشريعة هو مقتضى دين الله وحقيقة طاعته، لا حديث مرشدٍ ولا توجيهات قياديّ في جماعة.

إنه مما لا يشك فيه عاقل اليوم، إلا أصحاب الجهل أو الهوى ممن لا يعترف بخطأ قادته ولو كان أظهر من الشمس، أنّ المذهب التي اتبعته الإخوان المسلمون عقدياً، والطريق الذي سلَكَته سياسيا لم يحققا إلا الفشل الذريع والهزيمة المنكرة والإندحار الشائن. ولو كنا نأخذ على عبد الناصر الهالك أنه حوّل هزيمته في 67 إلى نصر وهميّ، فلماذا نحوّل هزيمة النهج الإخوانيّ إلى نصرٍ وبطولة؟ كيلٌ بمكيالين لا يصح في عرف المسلم العاقل. هذا مع وقوفنا معهم في محنتهم ومحنة المسلمين أجمعين اليوم.

لكنّا سنتقدم لشبابنا بمشروع "الإحياء والتمكين"، في القريب العاجل، وفيه خيرٌ وبركة، وعلم وحركة، إن شاء الله تعالى.

إذن، فلنبدأ رحلة الدعوة، والحركة، ثم المقاومة والمواجهة، فإننا مدينون لله بهذا، لأمتنا ولعامة المسلمين.